الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
والعلوم الإجتماعية

قسم اللّغة و الأدب العربي

الأسرة
في روايات عبد الحميد بن هدوقة

رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب

إعداد الطالب :
-ابن خنافو رشيد

إشراف :
-أ.د.محمّد عبّاس

السّنة الجامعيّة:
1422هـ - 1423هـ
2001م - 2002م

الإهداء

أهدي هذا البحث :

إلى الوالدين ، في رحمة الله.

و إلى الزوجة الكريمة ،

و إلى فلذّات الكبد: ل

عديلة ، جواد ، سمير ، فتيحة ، إيمان و دليلة.

-رشيد-

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تُكَوّنُ الرواية الجزائرية حدثا تاريخيا في معرفة المجتمع الجزائري في مجالاته السياسية و الإجتماعية و الفكرية، و قد عالجت الرواية الجزائرية قضايا إجتماعية مختلفة في عملية الطرح و التناول، على الرغم من حداثة هذه الرواية التي تبقى قريبة النشأة إلى زمن الإستقلال، إذا ما تمّت الموازنة بينها و بين الرواية العربية الحديثة في الوطن العربي التي كانت قد ظهرت في مطلع القرن العشرين، و تكاد تكون متقاربة في كثير من المحطات الإجتماعية و الثقافية نتيجة للإرتباط التاريخي لهذا الوطن. و من الروايات التي تمثل الظواهر الإجتماعية و الثقافية للجزائر روايات الكاتب الجزائري عبد الحميد بن هدوقة، فقد وصلت منازعه الفكرية إلى أعماق هذا المجتمع، و لا سيما ما تعلق بخلاياه كتناوله للأسرة الجزائرية و من ثمة كان إختياري لموضوع الأسرة في روايات عبد الحميد بن هدوقة لإهتمامي الخاص بتطور المجتمع الجزائري من جهة لاعتقادي بأن صورته تعكس بعض التغيرات الإجتماعية من جهة ثانية و لإهتمامي بالأدب عامة و بالعربي الجزائري المعاصر

منه خاصة من جهة ثالثة، و لقد شدّ انتباهي الإنتاج النثري الغزير الدي واكب السبعينات و خاصة فن الرواية و وجدت في ابن هدوقة خير من يعكسى صورة الأسرة في المجتمع الجزائري بأمانه إذا قورن بغيره من الروائيين الجزائريين السابقين، و المواكبين فلا منيع، و لا الشافعي و لا رضا حوحو وصلوا إلى ما وصل إليه، و أنجح هؤلاء الثلاثة جميعهم رضا حوحو، في قصّة "غادة ام القرى" التي جرت حوادثها في الحجاز حيث صور المرأة في ذلك المجتمع ضحية الصراع الطبقي، و لكنها بعيدة عن الواقع في جمودها و سلبيتها و خضوعها التام للعادات و التقاليد .

أما من المواكبين فالطاهر وطار على سبيل المثال لم يهمل ظاهرة المجتمع الجزائري في "اللاز" و "الزلزال" و "عرس بغل" و من الصعوبات التي لقيتها في هذا البحث الذي استغرق وقتا طويلا، أن الروائي ابن هدوقة حتى يواصل الإنتاج مما اضطرني و قد كنت معنيا بدراسة رواياته الثلاث، ريح الجنوب، نهاية الأمس، -وبان الصُّبح- أن أُضيف إليها الجازية و الدراويش، و غدا يوم جديد .

و هناك صعوبة أخرى تتمثل في قلة المراجع بالنسبة للموضوع المدروس و المرجع الوحيد الذي يمت بصلة قوية له هو رسالة أحلام مستغانمي لنيل دكتوراه الدرجة الثالثة "المرأة في الأدب الجزائري المعاصر".

و قد تضمن هذا المرجع دراسة المجتمع أو الأسرة في روايتي ريح الجنوب و نهاية الأمس دراسة اجتماعية و أدبية.

و تأتي بعدها الدراسات الثلاث للدكتور محمد مصايف "دراسات في النقد و الأدب" النثر الجزائري الحديث" و الرواية الجزائرية عامة و قد أفدت منها في التمهيد، و كذا بالنسبة للدراسات الثقافية و الأدبية التي تحوم حول الأدب الجزائري عامّة.

أما الدراسة الثالثة و هي الاهم فقد استفدت منها فيما يتصل بالخصائص الفنية عند ابن هدوقة، كما يتسم به الناقد من موضوعية في نظري. أما رسالة سعيدة هوارة "الواقعية في روايات عبد الحميد بن هدوقة و الطاهر وطار" فلهاأهميتها لتناولها بالدراسة لثلاث روايات للكاتب هي نهاية لأمس - ريح الجنوب وبان الصبح، و قد وقفت مع الباحثة في بعض أحكامها.

أما رسالة الدكتور للأعرج واسيني " اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، فقد تناولت ريح الجنوب بالدرجة الأولى، و ذكرت نهاية الأمس ذكرا عابرا، و قد تناول فيها الروائي كواحد من الروائيين الواقعيين النقديين، و لهذا فمن الطبيعي ألا يطيل معه، و قد وفقت مع الكاتب في بعض أحكامه المتصلة بنظرة ابن هدوقة إلى المجتمع الجزائري خاصة المرأة منه.

و قد خصصت عايدة أديب باميه لهذا الموضوع في الرواية الجزائرية الفصل السابع من كتابها "تطور الأدب القصص الجزائري 1925-1967" لكنه جاء شاملا للرواية المكتوبة بالفرنسية مقتصرا على رواية واحدة مكتوبة بالعربية هي "صوت الغرام" لمحمد منيع و مع ذلك فقد استفدت من الكاتب فيها بما يتصل بالتمهيد. و هناك دراسة جادة للدكتور سيد عطية أبو النجا تتناول الروايات الثلاث الأولى و ميزتها تكمن فهمها الامين للروائي و روايته، هذا الفهم الذي عكس الاهتمام الحقيقي للكاتب بالمجتمع فجاءت صورته من خلال الدراسة بارزة و هامة و جاءت أحكام الناقد موضوعية.

و هناك دراسة لمحمد زنيلي حول بان الصّبح، و دراسة لفرحات شركيت حول الجازية و الدراويش تتسمان بالجدية و العمق إلى حد كبير.

و بصفة عامة فهذه الدراسات تعتبر قليلة في حق كاتب مثل ابن هدوقة و إن كانت ظاهرة قلة النقد الجاد ظاهرة أدبية عامة في الجزائر بالنسبة لجميع المبدعين مهما كان شأنهم. و من المراجع الهامة التي تتصل مباشرة بدراسة أعمال عبد الحميد بن هدوقة ، تلك المقالات و البحوث التي نشرها في مجلة معهد اللغة العربية و آدابها بجامعة الجزائر في عدد خاص بعبد الحميد بن هدوقة[1] و قد اكتفيت بقراءة مضامين هذه المجلة، و أفدت منها الشيء الكثير ، علاوة على متابعتي لأصداء الملتقيات التي نشطتها الجهات الثقافية و لاسيّما مديرية الثقافة لمدينة برج بوعريريج حول إبداعات المرحوم ابن هدوقة في تظاهرات السنوات المتتابعة 1997 ، 1998 ، 1999 و 2000.

و أما هيكل البحث فقد قسمته إلى مقدمة، و تمهيد، و أربعة فصول و خاتمة.

في التمهيد تطرقت إلى تطور فن الرواية في أوروبا و عند العرب ملخّصا ذلك في الغالب عن د.غنيمي هلال، كما ترجمت للروائي، و تحدثت عن مكانته و نظرته، و بأنه لا ينتمي إلى أي تيار مستورد و أنّه استفاد من كثير من التيارات.

[1] ينظر : مجلة اللّغة و الأدب ، العدد 13 ، شعبان 1419هـ - 1998م

أما في الفصول، فقد خصصت ،الفصل الأول لمعالجة صورة المجتمع و الأسرة الجزائرية في ريح الجنوب و الفصل الثاني بعنوان المرأة داخل الأسرة بين الصورة الجسدية و الاجتماعية، و الفصل الثالث بعنوان الصورة النفسية داخل الأسرة، و الفصل الرابع بعنوان الأسرة بين الموقف و النموذج.

و قد قسمت كل فصل إلى عناصر أثبتّ فيها تفصيلات تكاملت مع العنوان الموسوم للرواية الّتي نالت قسطا وفيرا لصورة المرأة ممثّلة في الشخصية المحورية أو الشخصية الثنائية الّتي طبعت مسحة الأحداث و سير بناء جوانب السّرد في البناء القصصي العام.

فالأسرة في روايات عبد الحميد بن هدوقة تمثّل العمود الفقري في النسيج الروائي كما تمثّل في أصلها و حقيقتها العمود الفقري في كلّ مجتمع على العموم ، و تمثّل خصائص ذات صبغة خاصّة في المجتمع الجزائري من جهة الارتكاز على عتبة العادات و التقاليد و الأعراف كما يريدها الكاتب ابن هدوقة .

أما الخاتمة فقد أجملت فيها النتائج التي توصلت إليها في البحث. أما منهج البحث، فمنهج مركب من وصفي و تحليلي فيه على استنطاق النصوص بالدرجة الأولى، و قد

وجدت أنها كثيرا ما تمزج بين الرمز و الواقع، فجاءت الدراسة مصداقا لذلك في الدلالة و الوضوح.

كما اعتمدت على النقد و التحليل و المناقشة حين يتطلب الأمر ذلك، أما الآراء التي بدت موضوعية عند الكاتب في تسجيلاته الواقعية، و أوافقه عليها، فأكتفي بعرضها دون حاجة إلى الوقوف عندها طويلا في باب المخالفة أو الانتقاد لأنّها مستلزمات حيّة في نصوص روائية ناطقة.

لم أشأ أن أدرج رواية (غدا يوم جديد) ضمن هذه الدراسة حول موضوع الأسرة لما أحسست به من تكرار المواقف و المشاهد و الموضوعات التي تحوم حول الأسرة الجزائرية، فقد أنهيت حكمي بأن موضوع الأسرة في رواية "غدا يوم جديد" هو ذاته في رواية ريح الجنوب، و نهاية الأمس و الجازية، والدراويش فقد تعلقت تسجيلات عبد الحميد بن هدوقة في رصد المكان الأسري في القرية بالذات و الإنشداد إلى مفهوم الريف في كل ما كتب، و لعل هذا الهاجس كان نفسيا عند الكاتب مما حدا به إلى رسمه في نثره و شعره، فكان مني الإكتفاء بالرواية السابقة " أدعك الآن تستريح من هذه الثرثرة و غدا، أو بعد

غد، عندما تعد شيئا، عد إليّ و اقرأ عليّ حياتي يا ابن قريتي ! أتريد أن تكون ذلك الشاب القروي الذي رأيته في مكان ما، في شبابي ؟ "[2]

و قد تتوزع فكرة القرية أو الريف إلى جزئياتها فتخضع بمقصد الكاتب إلى مفهوم الدشرة :" لعنة الله عليه، هي الكلمة التي عبّرت بها عن حقها على الرجل. و فعلا، لقد سود حظها بعد أن أوشكت على الإفلات نهائيا من حياة الرتابة و الخصاصة، و كلمات ضرة الأم اللاّسعة، و عذاب "الدشرة"! لو كانت تدري ان زوجها لن يبلغ بها أبعد من هذه المحطة الكالحة المحترقة لما قبلت، و لو قطعت أطرافا ! لو كان لها أن تقول للناس بصراحة، لماذا تزوجت برجل لا يعرف من حياة "القرية" إلاّ الطريق الموصل إليها، لقالت بكلمات ملونة : "قدور ؟ من هو؟ زوجي؟ لا. خافوا الله ياناس! أنا لايهمني. لم أتزوج به، تزوجت بالمدينة : بالحلم ! آخر رعاة "القرية" أقرب إلى قلبي منه"[3] .

و الدشرة في مفهوم الكاتب و كما وردت في الرواية ما هي إلاّ مجموعة من المفاهيم التي تشبه بوعلام باشاغا، الشخصية المرجعية التي وظفتها البطلة للبحث عن دلالة ملائمة لأناس "برؤوس تنتمي إلى قرون أخرى"[4] .

---

[2] رواية: غدا يوم جديد ص 21-22.

[3] رواية: غدا يوم جديد ص 35.

[4] السعيد بوطاجين : الإشتغال العاملي في رواية غدا يوم جديد ص 145.

و إلى جانب بحثي حول الاسرة في روايات عبد الحميد بن هدوقة آثرت أن أخصص لهذا الجهد ، دراسة باللّغة الفرنسية ذات طابع شمولي في خمسة عناصر ، استكمالا للرؤية العامة لمسيرة الرواية الجزائرية في معانقتها للمجتمع الجزائري عامة و للأسرة بوجه خاص ، آملا أن تتسع آفاق القارئ العربي إلى متابعة هذه الجهود في أدائها بالحرف العربي و في محاولة ترجمتها إلى الحرف الفرنسي على قدر من الاهتمام و العناية ، حتّى يحقق الأدب الجزائري الحديث و المعاصر صداه خارج الحدود العربية .

و في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور محمد عباس الذي أشرف على هذا البحث و ساعدني في إتمامه خير مساعدة، كما اشكر الروائي الأستاذ عبد الحميد بن هدوقة الذي كان كريما معي بأحاديثه، و آرائه و بما وصل إليه من كتابات تتصل باتّجاهه الروائي[5] . و أتقدم بالشكر لكل من ساعدني من قريب أو من بعيد .

و الله هو الموفّق

[5] لقد كتبت هذا البحث و أنجزته قبل وفاة المغفور له الكاتب الكبير عبد الحميد بن هدوقة رحمه الله.

تمهيد

1- تطوّر الرواية :

ا- تطوّر الرواية في أوروبا :

القصّة عموما حكاية في أوّل أمرها و الحكاية قدر مشترك بين البشر[1] و قد توفرت كعنصر قصصي في الملحمة[2] و مهّدت للنّثر القصصي اليوناني الذي ظهر في القرنين الثاني و الثّالث بعد الميلاد .

أمّا الروماني منه فقد ظهر، في أواخر القرن الأوّل بعد الميلاد و كشف عن حالة الطبقة الفقيرة في عهد نيرون في إيطاليا و كان هجائيّا ثمّ انتهى إلى تقليد اليوناني و حفل بالخرافة و الحمار الذّهبي لأبوليوس نموذج لذلك .

و في عصر النّهضة ، نشأت القصص في أوروبا مستفيدة من التراث اليوناني و الرّوماني و الشّرقي و الدّين المسيحي ، و من أشهر المخاطرات في هذه الفترة، أسطورة "فاوست" .

---

[1] د.علي جواد طاهر ، مقدّمة في النّقد الأدبي - المؤسسة العربية للدراسات و النشر - بيروت - ط1- 1937 - ص: 218

[2] لمزيد من التفصيل د.غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث - دار الثقافة - دار العودة - بيروت - 1973 - ص: 494

و قد تأثرت هذه القصص بمعاني البطولة في ملاحم العصور الوسطى، و إن نزعت إلى حدّ ما، نزعة إنسانية في قصص الفروسيّة حيث الجانب العاطفي الذّاتي . و "قصّة أماديس دي جولا" نموذج لذلك و فيها أثر أفلاطون في الحبّ و أثر في الثقافة العربيّة[1] .

و في عام 1355 كتب "بوكاتيشيو" "الديكامرن" و هي قصص حبّ أعطى الكاتب فيها للحبّ ماديّته ، و روحانيّته كما جعل المرأة و الرّجل في المجتمع يقعان ضحيّة له على السّواء، و قد أثّر بذلك في الآداب الأوروبيّة حتّى العصر الكلاسيكي و قد خلط فيها بين الجدّ و الهزل.

و يأتي سرفانتس ليسخر من أدب الفروسيّة، من خوارقه ، و زيفه و مثاليّته، و قد ظهر الجزء الأوّل من قصّته "دون كيخوته" سنة 1605م و ظهر الجزء الثاني سنة 1615م و قد نقل الحوادث إلى الهزل و جعل المثال يصطدم بالواقع ، و تقدّم في التّحليل النفسي، وصوّر نموذجا بشريّا له جوانبه الخاصّة ، و تجاوز مجرّد تصوير نموذج عام ، و لكن معاصريه لم يفهموه.

---

[1] ظلّت المرأة في المجتمع الأوروبي و في الأدب مهملة حتّى القرن الحادي عشر بحيث بدأ يظهر خلق الفروسيّة ، المرجع نفسه ، ص: 207

و استمرت قصص الفروسيّة إلى جانب قصص الرعاة في تصويرهما لمثالية الحبّ و انفردت قصص الرعاة بخصائص، عدّت من عصر النهضة و سارت على وتيرة واحدة طوال القرن السادس عشر ميلادي، و جزءا من السابع عشر، لأنّها لم تكن تحتوي على المخاطرات ، و قلّت فيها العناصر العجيبة و إن لم تتلاش تماما ، و أوّل من ألّف فيها ، الإيطالي "سنزار"، قصّة "أركاديا" كتبها سنة 1385م. و نشرت في أوائل القرن الخامس عشر، و قد وصف "سنزار" مناظر متتابعة ، و صوّر حبّ لا مثاليّة فيه، جنح الكتّاب عامّة إلى وصف أماكن واقعيّة في بلادهم . و في القرن السادس عشر و السّابع عشر ظهر في الأدب الإسباني جنس جديد من القصص، هو قصص الشطار، قصص العادات و التقاليد للطبقات الدّنيا في المجتمع، و قصّة "حياة لاساريودي تورس" عام 1554 المجهولة المؤلّف نموذج لها، و هي متأثّرة بالمقامة العربيّة. و ازدهرت الكلاسيكيّة في القرن السّابع عشر[1] و أثّرت قواعد العقليّة في المسرح و اعْتُنِيَ فيها بالتّحليل النّفسي و سارت العدوى

[1] في هذا القرن فقط أنتج الكتّاب على حسب القواعد الكلاسيكيّة و في اللغة الفرنسيّة، المرجع السابق، ص : 375.

إلى القصّة بعد أن دعا النّقّاد إلى تصوير المحتمل . و قد اهتمّت "لافايت" "أميرة كليف" المنشورة عام 1678، بالجانب العاطفي و هناك من يؤرّخ لبداية الرّواية الفرنسيّة [1].

و لكن النّظرة إلى الرّواية كمسلاّة، أخّرت نهوضها و إن اكتسبتها حريّة في الهجاء و القول فحملت معالم من التّجديد و الثّورة في القرن الثّامن عشر قبل الأجناس الأخرى.

و نشأت قصص مخاطرات حديثة تهجو مختلف الطّبقات و تعرض صور المجتمعات و نظمها و تتعمّق في الحالات النّفسيّة أكثر، يعدّ "لوساج" رائد هذا النّوع و خاصّة في قصّة "جيل بلا" االّتي ظهرت كاملة عام 1747، و تمثل فيها طابع قصص العادات و التّقاليد بمعناها الحديث و انتفع "لوساج" فيها بقصص الشّطّار. و بعد "لوساج" أصبح الوصف وسيلة لكشف الحقائق و النّفسيّات و العلاقات الاجتماعيّة، لدى فئات معيّنة قصد إنصافها و صارت القصص بذلك ذات صبغة ديمقراطية، و بعد العناية بالنّوع الإنساني، أي بالطّبقات الاجتماعيّة و حاجاتها اتجاهات حديثة أخرى في أواخر هذا القرن . عني الكتّاب فيها بالفرد و نزعاته و مثله و جعلوا منه وحدة الإصلاح في المجتمع و هذه قضيّة حسّاسة عند الرومانتيكيّين إذ أثّرت الفلسفة العاطفيّة في الأدب و الحضارة الحديثة .

---

[1] د. علي جواد طاهر – المرجع السابق، ص : 222.

و على أنقاض الرّومانتيكيّة قامت الواقعيّة و الطّبيعيّة، أي ما يسمّى بالواقعيّة الأوروبيّة عموما [1] و حرصت على أن تعكس الواقع، في الفرد و المجتمع بحيث يختفي المؤلّف وراء العالم الواقعي : مصوّرا إيّاه تصويرا موضوعيّا مكتفيا بتحليل شخصيّاته بإقناع على حسب العناصر النّفسيّة في موقف معيّن لأشخاص واقعيّين من الطّبقة الوسطى، أو طبقة العمّال للوقوف على الأعماق في ضوء الأحداث الاجتماعيّة، كما كشفت القصّة الواقعيّة و الطّبيعيّة جانب الشّرّ في الإنسان و المجتمعات المهدّدة بتغيّر في نظامها انتظار الإصلاح. و يعدّ "بلزاك" (1799 – 1850) رائدا في تصويره للواقع على هذا النّحو في (المهزلة الإنسانيّة) [2] و على إثر ذلك دخلت طبقة العمّال في الحياة الأدبيّة فشغلت مشكلاتهم الآداب العالميّة في القرن التّاسع عشر و خاصّة في النّصف الثّاني منه. و منذ الواقعيّة و الطّبيعيّة اكتمل مفهوم القصّة الحديث فابتعدت عن ما هو خرافي و أرستقراطي كما خاضت في جوانب الشّرّ لدى الأفراد و الجماعات.

---

[1] د.غنيمي هلال – النّقد الأدبي الحديث، ص : 392.

[2] تتألّف من 95 جزء يصنّ ففيها المجتمع الفرنسي من عام 1829م إلى 1848م.

و في ذلك التقت واقعيّة "بلزاك" الاجتماعيّة بطبيعيّة "زولا"، مع الوجوديّة و الواقعيّة الإشتراكيّة الجديدة و إن كان المذهبان الأخيران يختلفان في الأسس الفلسفيّة و النّواحي الاجتماعيّة.

فبين الواقعيّة الأوروبيّة و الواقعيّة الإشتراكيّة المادّية فرق في تصوير الشّر، فالثانيّة لا توغل في تصوير الشّرّ و تنتصر للخير حتّى و لو أدّى ذلك إلى تزييف الموقف الأوّل - و كذلك الوجوديّة تصف الموقف كما هو و تختار جانب الحياة بالإيحاء و لا بالتّزييف، تاركة للقارئ استخلاص ما يرى من خلال تجربة إنسانيّة صادقة مبرّرة مع استهداف التّغيير من الشّرّ عن طريق تصويره الصّادق.

و هكذا نشأ قصص التّحليل لأدقّ الجوانب النّفسيّة في إطار علاقات الفرد بالجماعة في عصر و موقف معيّنين، و تناولت نفسيّات العامّة، و راج هذا الاتّجاه في الأدب الرّوسي منذ النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر، و أثّر في نواحي التّحليل النّفسي في القصص الأوروبيّة. و على هذا النّحو شغلت القصص النّفسيّة و الاجتماعيّة أكثر القاصّين في القرن العشرين .

ثمّ كان اتّجاه آخر حديث، حيث يرمي القاصّ إلى جلاء حالات نفسيّة خاصّة. ففي مطلع الحرب العالميّة ولّدت القصّة النّفسيّة الحديثة و القصّة الإنسانيّة أو قصّة تيّار الوعي أو القصّة التّحليليّة الحديثة[1].

و منذ خمسينيات القرن و أكثر، عُرِفَ ما يسمّى بالرّواية الجديدة و اقترنت باسم "آلان روب كرييه" و قد قيل إنّ الاتّجاهين يتعايشان في القرن العشرين و من المستحيل أن يختلس أسلوب جديد مكانة الرّواية التّقليديّة الّتي سيطر عليها المنطق و تستجيب لحاجة الفهم و التّحليل و تلخيص ما فهم[2].

ب- تطوّر الرّواية العربيّة:

حركة... القصص كانت واحدة من الحركات الفنيّة و العلميّة الّتي نبعت كضرورة حتميّة لمحاولة فهم القرآن و شر آياته و التّعرّف على أحكامه، و لهذا لم يكن غريبا أن تبدأ هذه الحركة منذ عصر الخلفاء الرّاشدين[3].

---

[1] د.علي جواد طاهر - مقدّمة في النّقد الأدبي - ص : 230 بتصرّف.

[2] المرجع نفسه - ص 234 بتصرف.

[3] فاروق خورشيد في الرّواية العربيّة عصر التّجميع- طبعة مزيدة منقّحة - دار الشّروق - دار القاهرة - دا بيروت - دار جدّة - ط2 - 1975 - ص : 77.

و قد جمعت ثلاثة أقسام من القصص :

1- الأساطير و الرّوايات، ذات المضامين الدرامّية، و الّتي عرفها العرب عن أبطالهم القدامى منذ خلق الله آدم إلى عام الفيل و أحداثه . . . و يقف على قمّة هذا القسم كتاب التّيجان لوهب بن منبه. . .

2- أساطير و روايات موجّهة، أي راعى مجموعها أن تساير الرّوح الإسلاميّة . . . و يقف على قمّة هذا اللّون كتاب أخبار ملوك اليمن لعبيد بن شرية الّذي يحوي مجالسة مع معاوية. . .

3- حكايات السّيرة، و هي حكاية تتعلّق بحدث واحد هو الإسلام، و شخص واحد هو محمّد صلّى الله عليه و سلّم، إلاّ أنّ هذه الحكايات تبدأ منذ أن يتخيّل جامعوها أنّ هناك صلة بين ما يروون و الرّسالة الجديدة فهي تأخذ من الكتب الأخرى يخدم هذا الحدث و يتركون ما عداه[1].

و القصص العربيّة منها ما هي دخيلة الأصل، و منها ما هي أصيلة و من القصص الأولى: كليلة و دمنة و هي من جنس القصص على لسان الحيوان أو الخرافة، ذات طابع

[1] المرجع نفسه – ص 206 – 207.

خلقي و فنّي، يهدف إلى تعليم الملوك الحكم، و الرّعيّة الطّاعة، مترجم عن البهلوية، عن أصل هندي و كانت له ترجمات عربيّة كثيرة من العصر العبّاسي، و نظم على منواله الكثيرون. و كذلك ألف ليلة و ليلة، و ترجع إلى أصل فارسي (هزار أفسانة).

و متأثّرة في أصلها و قالبها العامّ بالقصص الهندي، و في مقدّمتها كثير من قصص الحيوان تشبه قصص كليلة و دمنة و دوّنت في عصور مختلفة و عرفت قبل منتصف القرن العاشر الميلادي و الجزء الأكبر من القصص مصري أو ذو طابع مصري لأنّ الكتاب كما هو بين أيدينا اليوم مدوّن في مصر [1] و الكتاب يغمره الخيال و عالم العجائب و السّحر و المخاطرات و قد أثّر في الآداب الأوروبيّة في القرن الثّامن عشر ميلادي.

و من القصص الأصليّة :

المقامة : و معناها المجلس أصلا، ثمّ أطلقت على ما يحكى في جلسة على شكل قصّة فيها مخاطرات يرويها راو عن بطل، و قد يكون هذا البطل شجاع، مغامر، منتصر، قد يكون ناقدا اجتماعيّا أو سياسيّا أو فقيها عارفا بالدّين أو اللّغة و لكنّه في الغالب متسوّل ماكر،

[1] د.غنيمي هلال – الأدب المقارن – دار العودة و دار الثقافة – بيروت – ط5 – ص: 221.

شغوف بالملذّات مستهتر، محتال ذا بديهيّة و ارتجال، و في المقامة تصوير عام للعادات و التّقاليد عند الطّبقات الوسطى و الدّنيا في كثير من المجتمعات الإسلاميّة.

و لبديع الزّمان الهمداني المتوفّى عام 398 هـ (1007م- 1008م) الفضل في إنشائها، ثمّ خطا الحريري(1055م - 1132م) بها خطوات لم يبلغها أحد بعده في النّضج القصصي، فقد اتّخذ نموذجا بشريّا واقعيّا، بطلا لمقاماته و شخصيّة أبي زيد السّروجي البطل يتكرّر في مقامات مختلفة لتكشف عن محتويات نفسيّة مختلفة.

و قد أثّرت المقامات العربيّة كذلك في الأدب الأوروبي تأثيرا واسعا متنوّع الدّلالة، فقد غدت هذه المقامات قصص الشّطّار الإسبانيّة، بنواحيها الفنّيّة و عناصرها ذات الطّابع الواقعي، ثمّ انتقل التّأثير من الأدب الإسباني إلى سواه من الآداب الأوروبيّة فساعد على موت قصص الرّعاة و على تقريب القصّة من واقع الحياة ثمّ على ميلاد قصص العادات و التّقاليد في معناها الحديث و هي الّتي تطوّرت فكانت هي قصص القضايا الاجتماعيّة فيما بعد[1].

---

[1] د.غنيمي هلال - المرجع نفسه - ص: 228.

التّوابع و الزّوابع :لابن شهيد (382 – 426 هـ) و إذا صحّ سبقها لرسالة الغفران، فلها الفضل في البدء برحلة أدبيّة إلى العالم الآخر يشبه العالم الذي جاء في الإسراء و المعراج.

رسالة الغفران لأبي العلاء المعري المتوفى عام 449 هـ (1059م) رحلة تخيّلها في الجنّة و في الموقف و في النّار ليحيل في عالم خياله مشاكل ضاق بها في الواقع، من العقاب و الثّواب و الغفران أو عدمه مع كثير من المسائل الأدبيذة و اللّغويّة الّتي أوردها ساخرا تارة و ناقدا لغويّا متبحّرا تارة أخرى و العالم الغيبي قالب لا رمزي، لعب فيه الخيال الكاتب دورا فريدا في الأدب العربي و أكسب الرّسالة طابع قصص المخاطرات الغيبيّة الفكريّة، و دانته متأثّر بالإسراء و المعراج مثل أبي العلاء و ذلك في الكوميديا الإلهية [1].

و قصّة حيّ بن يقظان لابن سينا (980 – 1037م) طوّرها ابن طفيل (506 – 581هـ، 1110– 1185م) و فيها جوانب نضج قصصي في الشّرح و التّبرير و الإقناع، و ظلّت فريدة

[1] د.غنيمي هلال – المرجع نفسه – ص: 230.

في نظرة النقّاد في الأدب العربي، رغم طابعها التّجريدي الفلسفي و قد مزج الآراء الفلسفيّة الدّقيقة بالقصص الشّعبي " . . . . عدّها الكثير من النّقّاد خير قصّة في العصور الوسطى"[1] .

أمّا القصّة العربيّة الحديثة فقد تأثّرت بالقديم من الأدب العربي ة خاصّة جنس المقامة، ثمّ بألف ليلة و ليلة، و بالخرافات على لسان الحيوان و أوضح مثل للتّأثّر بالمقالة "حديث عيسى بن هشام" للمويلحي، فهناك البطل و الرّاوي و عناية كبيرة بالأسلوب و مخاطرات تربطها شخصيّة البطل الّذي يتّصل بشخصيّات متعدّدة، و التّأثّر بالغرب يظهر في تنويع المناظر و تسلّل الحكاية و شيء من التّحليل النّفسي ، و في صراع الشّخصيّات مع الحوادث، و يظهر في النّقد الاجتماعي لعهد جديد تصطرع فيه القيم السّائدة مع الوعي الاجتماعي الوليد ، و يبرز الصّراع عن جوانب من نقد العادات الشّائعة في الأسرة، و نظم الشّرطة، و المحاكم الوطنيّة و الأهليّة و في الحياة العامّة، و ينتهي المويلحي إلى ضرورة الإبقاء على القديم الصّالح و اقتباس المفيد من نظم الغرب و هذه نواح لا شكّ أنّ الكاتب متأثّر في إدراكها و تصوّرها بالثّقافة الغربيّة، و بما أثّرت في آراء المصلحين في عصره[2] .

---

[1] د.غنيمي هلال – المرجع نفسه – ص: 530.

[2] د.غنيمي هلال – المرجع نفسه – ص: 533.

و نجد التّأثير المزدوج للثّقافتين في "ليالي سطيح" لحافظ إبراهيم و "شيطان بتاؤور" لأحمد شوقي.

و في قصّة "الادسياس" لشوقي، تظهر عنايته بالأسلوب و اعتماده في تطوّر الحوادث تطوّرا خارجيّا على عصر الزّمن متأثّرا بالمقامة و ألف ليلة و ليلة، كما تأثّر بقصص الفروسيّة في قصّة حبّ الأمير حماس المصري للأميرة اليونانيّة، و يفقد عرشه و تخطف، و يذلّل الصّعوبات و يستعيدها و يتزوّجها.

أمّا الخرافة أو القصّة على لسان الحيوان، فكان التّأثّر فيها مزدوجا أيضا، لكليلة و دمنة و "لافونتين" و لكن القصص المنظومة جعلت وسيلة لتربية النّشئ، و للغظة الأخلاقيّة بأسلوب ساخر، كما في قصص "آداب العرب" لإبراهيم العرب، و مصر عثمان جلال قصص "لافونتين" في كتابه "العيون اليواقظ" الّتي زعم أنّه أخذها رأسا عن "إيسوبس".

و قد بلغ شوقي بهذا الفنّ ذروته في العربيّة حتّى اليوم، فهناك عرض حيّ للصّور و التزام المقابلة بين الحيوان كرمز و النّاس كمرموز إليهم و قصد إلى معان خلقيّة متّصلة بروح العصر، مثل تنبيه الوعي القومي و حبّ الوطن و نقد العادات الاجتماعيّة و تسري روح

السّخريّة المرّة في الغالب و قد اعترف في مقدّمة الطّبعة الأولى للشّوقيّات بأنّه ر مى إلى السّير على نهج "لافونتين" .

و جاء طور التّعريب ليكيّف موضوعات القصص الغربيّة مع الميول الشّعبيّة و وعي جمهور المثقّفين، و كان الكاتب يحور الأصل و قد لقيت رواجا بلغتها المتأنقة و على رأس هؤلاء مصطفى لطفي المنفلوطي و عثمان جلال و قد سما الأوّل المتوفّى عام 1924 بالتّعبير اللّغوي و بين الحربين العالميّتين كانت التّرجمة الصّحيحة، و من هؤلاء المترجمين الدّكتور طه حسين و الدّكتور عبد الرّحمن بدوي و الأستاذ عبد الرّحمن صدقي و الدّكتور محمد عوض محمّد من إليهم. . و كانت أكثرها من الآداب الغربيّة و الأدب الرّوسي.

أمّا القصص العربيّة الأصيلة في عصرنا فقد أخذت تستقل عن القصص الغربيّة في موضوعها و بدأت تعالج مشكلات بيئتنا و عصرنا أو تشيد بماضينا . . . و إن كانت مع ذلك متأثّرة في نواحيها الفنّيّة بالآداب الكبرى و التّيّارات الفنيّة العالميّة [1] .

---

[1] د.غنيمي هلال – الأدب المقارن – ص: 245.

و كان التّأثير بالرّومانسّة في منهج قصصها التّاريخي، و في وصف الجانب العاطفي الذّاتي، و في الإشارة بالماضي القومي أو الوطني هربا من الحاضر و رغبة في التّغيير و لم تتأثّر بالرّومنتيكيّة في دعوتها الاجتماعيّة الثّائرة إذ لم تكن الظّروف مهيّأة لذلك.

و قد تأثّر جورج زيدان "بولترسكوت" أدب القصّة الرّومنتيكية التّاريخيّة، ما عدا في جانب الإشادة بالماضي العربي الإسلامي و لعلّ ذلك لمسيحيّته، أمّا النّزعة القوميّة و الوطنيّة فقد تجلّت عند محمد فريد أبو حديد في قصصه مثل "زنوبيا" و "المهلهل" و كذا الأستاذ محمد عوض محمد في قصّة "سنوحي".

و أخيرا بدأت القصّة العربيّة تتأثّر بالاتّجاهات الفلسفيّة الواقعيّة في معالجة الحقائق الكبرى أو المشكلات الاجتماعيّة على سبيل المثال قصّة "أنا الشّعب" لمحمد فريد أبي حديد و قصّة "عودة الرّوح" لتوفيق الحكيم و قصّة "الأرض" للأستاذ عبد الرّحمن الشرقاوي و كذا قصص الأستاذ نجيب محفوظ المتأثّر عن طريق الإنجليز بطريقة "بلزاك" و "زول"ا و "جول رومان" في التّأريخ للمجتمع بالأسر[1] و في قصّته "خان الخليلي" ثمّ "بداية و نهاية" يتناول في كلّ منهما تاريخ أسرة من الطّبقة الوسطى أثناء الحرب العالميّة

[1] د.غنيمي هلال – المرجع نفسه – ص: 246– 247.

الأخيرة ثمّ عقبها و كذا في ثلاثيّة "بين القصرين" ثمّ "قصر الشوق" ثمّ "السكرية" و هي تصوّر نماذج بشريّة عاصرت أخطر فترة في تطوّر حياة مصر في العصر الحديث ما بين 1917– 1944م .

و قد تأثّر أدبنا العربي الحديث باتّجاه المواقف[1] من روّاده عندنا الأستاذ "حنامينه": في قصّة "المصابيح الزّرق" و الأستاذ عبد الرّحمن الشرقاوي في قصّته "الأرض" و هي أوّل قصّة مصريّة تجلّى فيها هذا الاتّجاه و من أدب المواقف كذلك رواية "الحرام" .

ج– تطوّر الرّواية العربيّة الجزائريّة :

لا شكّ أنّ العنصر القصصي متوفر في المقامات[2] العربيّة الجزائرية و كذا في أدب الرّحلات[3] ناهيك عن السّير الشّعبيّة.

و مع ذلك فنحن لا نستطيع الجزم بعد بمدى تأثّر فنّ الرّواية العربيّة الجزائرية بهذه الأصول التّراثيّة، و لا حتّى بالرّواية العربية الحديثة . كما لا نستطيع في الوقت نفسه الجزم

---

[1] د.غنيمي هلال –الموقف الأدبي – دار العودة – بيروت– 1977 – ص: 172.

[2] د. عبد الله الركيبي – تطوّر النّثر الجزائري – 1830 – 1974 – المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم – معهد البحوث و الدراسات العربية 1976 – ص : 73.

[3] نفس المرجع – ص : 46.

بمدى تأثّرها بالرّواية المكتوبة باللّغة الفرنسيّة على يد جزائريين و لا بالرّواية الأجنبيّة، ما لم يقدّم الرّوائيّون أنفسهم اعترافاتهم الّتي تعدّ ضروريّة جدّا في مجال المقارنة و الموازنة و مع ذلك فإنّ ملاحظة أوجه التّشابه و الاختلاف و لو بصفة تعميمية، أو جزئية ممكن، فالتّأثّر عموما حاصل و إن احتاج إلى دراسات جادّة و عميقة و دقيقة مستقبلا للفصل فيه خاصة و أنّ الإنتاج الرّوائي العربي في الجزائر يتزايد يوما بعد آخر.

و لا بأس من الإشارة إلى أنّ الرّواية المكتوبة بالفرنسية لجزائريين من وجهة نظر غير استعمارية تعود إلى سنة 1947 حيث نشرت الكاتبة "مارغريت طاووس"[1] روايتها الأولى بعنوان "الزّنبقة السّوداء" و كتابها بمثابة سيرة ذاتية . . . أمّا الرّواية في شكلها و معاييرها الفنيّة المعروفة فقد ظهرت عام 1950 مع "ابن الفقير" لـ "مولود فرعون"[2].

و بعد ذلك توالى نشر الروايات ، خلال الثورة التحريريّة و بعد الاستقلال و من أهمّ الروائيين نذكر محمّد ديب المشهور بثلاثيّته : "الدار الكبيرة" و "الحريق" و "النول" و بروايات

---

[1] وقعت الكاتبة روايتها باسم "ماري لويز عمروش" - عايدة أديب بامية - تطور الأدب القصصي الجزائري - 1925 - 1967 - ترجمة الدكتور صقر - ديوان المطبوعات الجزائرية - الجزائر - 1982 - ص: 68.

[2] المرجع نفسه - ص : 60- 61.

أخرى كثيرة "كمجرى نهر على الضفّة الأخرى" و "من يذكر البحر و رقصة الملك" و "صيف إفريقي".

و رغم استعمال "ديب" للفرنسيّة كأداة فإنّ أسلوبه في الثلاثيّة خاصّة ينمّ "عن أصالته العربيّة"[1]. و لمولود فرعون غير روايته الأولى ابن الفقير، الأرض و الدّم و الدروب الوعرة و لمولود معمري الهضبة المنسيّة و سبات العادل و الأفيون و العصى و حرور الألب، و لكاتب ياسين نجمة و النّجمة المضلّعة و دائرة الانتقام و لآسيا جبّار القلقون و القنابر الساذجة و أطفال العالم الجديد و العطش و ألف ليلة و لمالك حداد سأهبك عزالة و رصيف الأزهار لا يجيب و نطباع الأخير و التلميذ و الدّرس.

و هناك آخرون أيضا كرشيد بوجدرة و مراد بوربون ... إلخ.

أمّا فنّ الرواية العربيّة الجزائريّة فأعتقد أنّه يبدأ بـ "غادة أمّ القرى" لرضى حوحو المطبوعة بمطبعة التليلي بتونس سنة 1947[2].

---

[1] المرجع نفسه – ص:256.

[2] د.عبد الله الركيبي – تطور النثر الجزائري الحديث – 1830-1974 – ص: 198

و لا عجب فاشهيد يعدّ فاتحة المحدثين[1] في الجزائر في الأدب عامّة ، في القصّة القصيرة و النقد ، و في الرواية خاصّة و تاليها رواية الطالب المنكوب لعبد الحميد الشافعي الّتي نشرت حوالي عام 1951 في تونس[2] أيضا و هي "تتحدّث عن طالب جزائري عاش في تونس في أواخر الأربعينات أحبّ فتاة تونسيّة و سيطر عليه حبّها حتّى أنّه كان يغمى عليه من شدّة الحبّ"[3] .

أمّا صوت الغرام لمحمّد منيع فقد نشرت عن طريق مكتبه و مطبعة البعث قسنطينة 1967[4] و هي قصّة حبّ بين فتى و فتاة في الرّيف[5] الجزائري.

و في السبعينيات اغتنت الرواية العربيّة الجزائريّة بعدد هامّ من الروايات ، على يد عدد من الروائيين كعبد الحميد بن هدوقة و الطاهر وطار اللّذين يعدّان من أغزر الروائيين إنتاجا لحدّ الآن .

---

[1] د. عبد المالك مرتاض – نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر – 1925 – 1954 – ش-و-ن-ت – 1983 – ص: 155 .

[2] عايدة أديب بامية – تطوّر الأدب القصصي الجزائري 1925-1967 – ص: 63.

[3] د.عبد اللّه الركيبي – نفس المرجع – ص: 198

[4] عايدة أديب بامية – نفس المرجع – ص: 69 .

[5] عايدة أديب بامية– نفس المرجع – ص: 239

و للطاهر وطار : اللاّز و الزلزال و عرس بغل و العشق و الموت في الزمن الحراشي هي روايات لها أهميّتها رغم الاختلاف الّذي تثيره حول تقييمها و لعلّ ذلك راجع إلى النّظرة الشيوعية المسبقة الّتي أراد الكاتب إعطاءها لكتاباته و لكن هل نجح في ذلك!

إنّ نقدا معتدلا في نظري لا يحيد عن التقييم الموضوعي إمّا بحكم الإعجاب أو الولاء و إمّا بحكم العداء و هو وحده الّذي يفصل في ذلك خاصّة و أنّ وطار يثير أكثر من موقف حسّاس بحاجة إلى فحص دقيق و نزيه و جريء و معمّق كموقفه من النظّرة الإسلامية على سبيل المثال . و لمحمّد العالي عرعار ما لا تذروه الرياح، و الطّموح و البحث عن الوجه الآخر و له تحت الطبع : زمن القلب و النّفوس الجائعة[1]، و تروي "ما لا تذروه الرياح" قصّة رجل ريفي جزائري يتنكّر لجزائريّته و أهله و ملّته أثناء حرب التّحرير و يعيش في فرنسا هاربا من أصالته الّتي تطارده و ضميره الّذي يموت ، و لا يستيقظ إلاّ بعد الاستقلال متّصلا بجذوره[2] و لعبد الملك مرتاض نار و نور و دماء و دموع و الخنازير، و لمرزاق

---

[1] د. محمّد مصايف – الرواية العربيّة الجزائرية الحديثة بين الواقعيّة و الالتزام – الدار العربيّة للكتاب – س–و–ن–ت – الجزائر – 1983 – ص:285

[2] المرجع نفسه بتصرف– ص: 286 و ما بعدها.

بقطاش : طيور في الظّهيرة و اليزاة و لإسماعيل غموقات: الشّمس تشرق على الجميع و الأجساد المحمومة و الأعرج واسيني : وقائع من أوجاع غامر صوب، و لزهور ونيسي : مذكرات مدرسة حرّة و لجروة علاوة و هي : باب الريح أما رشيد بوجدرة نقد تحول من الكتابة بالفرنسية إلى الكتابة بالعربية.

كما أنّ هناك روائيون يكتبون الرواية القصيرة، و منهم على سبيل المثال الجيلالي خلاص و محمد زتيلي و ادريس بوذيبة و عبد العزيز بوشفيرات.

و أغلب روائينا يتناولون قضايا العصر كما يتلهمون التّراث، يتفاوت كلّ بحسب زاوية النّظر التي يؤمن بها و يمثلها، و يجري الآن في الدّراسات النّقديّة تصنيف أوّلي لاتّجاهات الرّوائيين. و أعتقد أنّها محاولات لا بدّمنها للوصول إلى فرز سليم مستقبلا.

و أعلق على التّصنيفات الجارية بكلمة حقّ جاءت على لسان أحد النّقّاد العرب حين قال:" أنّنا سنقف حيارى. . . من أنّنا لانستطيع تصنيف الرّواية المصريّة بحسب في خانات محدّدة حسب مقاييس النّقد الأوروبي و مدارسه المختلفة ! فالرومانسية عندنا تأخذ أشكالا و تختلف و تتفق مع الرومانسية الأوروبية و هكذا الواقعية و الرمزية . . . ثمّ تجتمع بعض ملامح هذه التّيارات دفعة واحدة في عمل فني واحدة في عمل فني واحد

و من ثمّ لا نستطيع أن نصنّف أدبنا الرّوائي في نفس الخانات الأوروبية إلاّ بكثير من التّعسّف و الزّيف و الافتعال [1]" و نفس الحكم أراه يصدق على الرّواية و عبد الحميد بن هدوقة أيضا كما سيأتي فيما يلي من البحث .

2- مكانة الرّوائي عبد الحميد بن هدوقة :

ا – من هو عبد الحميد بن هدوقة :

ولد الروائي عبد الحميد ين هدوقة سنة 1925 بالمنصورة ولاية سطيف و تلقى العربية على يد والده أمّا الفرنسيّة فقد درس الطّور الابتدائي منها في قريته.

و بعد ذلك انتسب إلى المعهد الكتاني بفسنطينة حتّى بلغ من العمر سبعة عشر عاما، فسافر إلى مرسيليا عام 1949 و نال هناك دبلوم الإخراج الإذاعي بالفرنسية و شهادة تقنية تتعلّق بتحويل المواد البلاستيكيّة، ثمّ عاد إلى المعهد الكتاني لمدّة سنة و سافر من جديد إلى تونس حيث قضى أربع سنوات نال خلالها شهادة العالمية في الأدب من جامع الزيتونة و في نفس الوقت شهادة مدرسة التمثيل العربي من معهد الفنون الدرامية بتونس،

---

[1] غالي شكري مذكرات ثقافية تحتضر – دار الطبعة – بيروت – ص–ط1 – 1970 – ص : 165.

بدأ عبد الحميد بن هدوقة الكتابة في بداية الخمسينيات و كانت كتابات ثقافية و سياسية في الجزائر التونسية.

أوّل عمل أدبي كتبه سنة 1952 و هو مقطوعة من الشّعر الحرّ بعنوان "حامل الأزهار". ناضل الكاتب في إطار حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية و ارتقى من عضو إلى أمين عام إلى رئيس جمعية الطّلبة الجزائريين في تونس. و كان مداوما في الحزب غير أنّه استغنى عن الرّاتب بما يكسبه من نشاطه الأدبي. و في 18 ديسمبر 1952 ألقي عليه القبض في تونس و كان أمينا عاما آنذاك، ذهب لتغطية المظاهرات كمراسل لبرنامج صوت الشّعب الّذي يذاع في تونس عن طريق عيسى مسعودي على السّاعة السّابعة مساء. و قد شهد الكاتب النّساء التّونسيات يرمين القنابل على مقرّ المقيم الفرنسي. و قد اتهم مع آخرين و سجنوا بسجن الحمدية بين زغوان و تونس مدّة ثمّ هربوا.

و في سنة 1954 حيث وقع الانقسام في اجتماع بروكسل رجع ابن هدوقة من تونس إلى الجزائر في شهر أكتوبر و اندلعت الثورة في أوّل نوفمبر، و قد اتّصل به الطّرفان حركة انتصار الحريات الديمقراطية و جبهة التحرير الوطني للتّمثيل في تونس لكنّه لم يوافق، لأنّه كان

ضدّ الانقسام و عاد إلى قسنطينة ليقوم بتدريس مادّة الأدب في المعهد الكتّاني و لم يكن ابن هدوقة في مهنته مدرّسا فقط و إنّما كان مناضلا ممّا دفع الاستعمار إلى ملاحقته [1].

و أراد الالتحاق بالجبل لكنّه لم يستطيع الخضوع للتّجربة الّتي تشترط للانخراط في جيش التّحرير الوطني، فقد كان حسّاسا جدّا، يصعب عليه القيام بعمليّة فدائيّة و كان يفضّل أن يتمرّن و يقاتل ضمن الجيش أوّلا، و بعد أن تعذّر عليه ذلك، اتّخذ بطاقة تعريف باسم عبد الحميد مصطفى و جواز سفر، و ذهب إلى فرنسا في نوفمبر 1955 ليعمل هناك. و على إثر الجدّ و التّعب نقل إلى المستشفى و طلب منه الأطبّاء تغيير عمله و شجّعه ذلك على الاهتمام بالأدب أكثر [2] و توجّه منا إلى تونس في سنة 1958 حيث انقطع للدّفاع عن الثّورة الجزائريّة و نشر مقالات كثيرة و كتاب عنوانه "الجزائر بين الأمس و اليوم" و لعلّ هذا يلخّص في حدّ ذاته عالم ابن هدوقة القصصي [3].

---

[1] أحمد دوغان – مجلة الموقف الأدبي – العدد 116 – كانون الأول 1980 – ص : 157.

[2] نفس المرجع – ص 157.

[3] د. السيد عطية أبو النجا – عالم الفكر – المجلد الثالث عشر – العدد الرّابع – يناير – فبراير – مارس – 1983 – ص : 266.

و كتب أثناء الثّورة في المجاهد حول تفجيرات الذرّة في رقان و كتب في مجلّة الشباب الجزائري حول الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية و غيره من المواضيع، علاوة على إنتاجه القصصي.

كما عما منتجا مخرجا بالإذاعة التونسية، أخرج برنامج "صوت الجزائر" فترة من الزمن و كان مساعدا لمصالح وزارة الأخبار للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

و قد كتب أكثر من مائتي تمثيليّة، أذيعت من باريس و لندن و صوت العرب و تونس و الجزائر. و بعد الاستقلال عمل مديرا للبرامج للإذاعة و التلفزيون الجزائري، ثمّ مديرا للإذاعتين العربية و القبائلية ثمّ رئيسا للجنة الإنتاج للإذاعة و التلفزيون و السينما و هو الآن.

و قد تزوّج ابن هدوقة بفرنسية، أنجب معها بنتا تعيش الآن في فرنسا و لكنّه لم يكن موفّقا في حياته الزّوجيّة فطلّق زوجته الأولى و اقترن بأخرى جزائرية، له معها الآن ثلاثة أطفال ذكور .

مؤلّفات الكاتب المطبوعة :

1- الجزائريين الأمس و اليوم - دراسة نشرت باسم وزارة الأخبار للحكومة المؤقتة للحكومة الجزائرية سنة 1959 .

2- ظلال جزائرية، مجموعة قصص - نشرت بدار الحياة، بيروت 1960 .

3- الأشعة السّبعة، مجموعة قصص - نشرت بالشّركة القوميّة للتّوزيع و النّشر بتونس 1962 .

4- الأرواح الشّاغرة، مجموعة من الشّعر الحرّ- ش.و.ن.ت - الجزائر 1967 .

5- ريح الجنوب، رواية ش.و.ن.ت - 1971 .

6- الكاتب و قصص أخرى، مجموعة قصص - ش.و.ن.ت - 1974 .

7- نهاية الأمس، رواية ش.و.ن.ت - 1975 .

8- بان الصّبح، رواية ش.و.ن.ت - 1980 .

9- الجازية و الدراويش، رواية ش.و.ن.ت - 1983 .

10- قصص من الأدب العالمي، مجموعة قصص مترجمة ش.و.ن.ت- 1983 .

11- العقاب و النسر، قصّة للأطفال بالألوان، مترجمة ش.و.ن.ت - 1985 .

12- قصّة في إيركووتسك - مسرحية سوفيتية مترجمة تحت الطبع .

13- الدّفاع عن الفدائيين، دراسة مترجمة عن الفرنسية سلمت إلى منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1957 .

ب- مكانته، روائيا :

يحتلّ عبد الحميد بن هدوقة مكانة هامّة بين روائيّي الجزائر و العرب و العالم، و رؤيته هي الّتي تخوّل له تلك المكانة فيما اعتقد، فهي رؤية صادقة و أصيلة، فقد وصل إلى نضج مكّنه من التفتّح على العالم. . . و استلهام التّراث في آن واحد، و مثل هذا التّفاعل هو المطلب التّاريخي المرام.

يقول الكاتب : حاولت فيما كتبته على تواضعه، أن أعالج نقاط التّأزّم الرّئيسية في الواقع الجزائري بصفة تدخّل أكبر قدر من المستقبل في الحاضر، و تبتعد عن المضامين الجاهزة و الأشكال النّابعة عن مراكز خارجيّة، اعتقادا منّي بأنّ الإنطلاق من معطيات سوسيوتاريخية محليّة لكلّ قطر عربي لو روعيت في أعمالنا الأدبية لأرجعت لنا شيئا من كرامة، و جنّبتنا كثيرا من مزالق الاستلاب فالثّقافة العربيّة الّتي عاش العالم على كرمها

الرّوحي ما يقرب من ألف سنة لا تستحقّ هذا الواقع الّذي وضعها في تخلّفنا المادي و السّياسي.

إنّ هذه الاهتمامات هي الّتي جعلتني في كلّ أعمالي الأدبيّة أعمد إلى معالجة الواقع المتأزّم و الجوانب المظلمة في حياتنا الإجتماعية مبتعدا بقدر الإمكان من الاغتباط بما حقّقناه من إيجابيّات [1] و لن أتوسّع في تقييم هذه المكانة لأنّ تقييمها متضمّن فيما يلي من البحث.

و تتّضح في روايات المؤلّف، آثار تيارات متعدّدة، لا تغيب بصماتها في تقارب واضح، حتّى أنّه ليصعب التّسليم بسيادة تيّار بعينه.

و قد سألت الكاتب عن رأيه فيما ذهبت إليه فأكّد أنّه يؤمن بإمكانيّة تعدّد الاتّجاهات في الرّواية الواحدة [2].

و ظاهرة تعدّد التّيارات لا تخصّ المؤلّف وحده، بل هي ظاهرة واضحة في الأدب الجزائري – سواءالمكتوب بالعربيّة منه ام الفرنسيّة، بل و الأدب العربي عامّة و تشمل أدب العالم الثالث كلّه – [3].

---

[1] السيد عطية أبو النجا – عالم الفكر – ص : 267.

[2] من مقابلتي الأولى للكاتب.

و يرجع ذلك إلى أسباب منها تميّز البنية الاجتماعيّة، و كذلك الثّقافة أو الحضارة أو الذّهنيّة أو المنطق أو الفكر أو الفلسفة و حتّى التّأثّر بالتّيارات الغربيّة، قد حصل و ظهر و لكنّه يظلّ تأثّرا "غير منهجي"[1] فأدبنا الحديث لم يتبع "تيّارا فنيّا متكامل الملامح"[2] و من النّقّاد من تحاشى وضع رواية "ريح الجنوب" مثلا في إطار تيار معيّن[3] و منهم من حاول تصنيفها في حذر و تحفّظ و وصفها بأنّها واقعيّة[4] مع ما يحمله هذا التّصنيف الواسع الفضفاض من تعدّد الآن، و حاول البعض ردها إلى تيّارات متعدّدة فقيل عنها بأنّها اجتماعيّة و واقعيّة وصفيّة و فيها شيء من الرّومانسية و الوجوديّة[5]، و قيل أنّها واقعيّة لا

---

[3] عايدة أديب بامية – تطور أدب القصص الجزائري -1967 -1925 – ص : 83-84.

[1] د.غنيمي هلال – الأدب المقارن – ص : 409.

[2] المرجع نفسه – ص 416.

[3] ا- الدكتور عبد الله خليفة ركيبي – المرجع السابق – ص 199

ب- د. حامد النساج – بانوراما الرواية العربية الحديثة – المركز العربي للثقافة – بيروت – ط1 – ص : 218.

[4] د. جورج سالم – المغامرة الروائية – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق 1973 – ص : 67.

[5] د. محمد مصايف – الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام – ص : 179 و ما بعدها.

تخلو من شاعريّة و رمزيّة [1] و هناك من جعل الرّوائي واقعيا نقديّا يتّسم بوضوح الرّؤية [2] تارة و قصورها [3] تارة أخرى و هناك من يرى أنّه في "ريح الجنوب" و "نهاية الأمس" لم يخرج عن إطار الواقعيّة الاشتراكيّة [4] و تعدّ التّيارات كما يصدق على ريح الجنوب يصدق على الرّوايات الأخرى، في نظري و في اختلاف النّقّاد حول ذلك.

و دراسة الإنتاج و الاستهلاك و الانتشار تساعد على إبراز المكانة الحقيقية للكاتب بموضوعيّة تامّة.

و انتهى عبد الحميد بن هدوقة من كتابة رواياته الأربع على التّوالي حسب ما هو مثبت في نهاياتها.

1- ريح الجنوب 5 نوفمبر 1970.

2- نهاية الأمس 8 جويلية 1974.

---

[1] د. السيد عطية أبو النجا - عالم الفكر - ص : 265.

[2] د. الأعرج واسيني - اتجاهات الرواية العربية في الجزائر - رسالة لنيل درجة الماجستير 81 - 82 دمشق - كلية الآداب - إشراف عبد الكريم الأشتر - ص : 357.

[3] المرجع نفسه - ص: 415.

[4] محمد بوشحيط - الكتابة في لحظة وعي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1984 - ص : 89.

3- الجازية و الدراويش 6 أوت 1982 .

و هكذا يكون قد كتب أربع روايات خلال 12 سنة و هو يعدّ بهذا غزير الإنتاج، إذا ما نظرنا إلى غيره من الرّوائيين الجزائريين عدا وطار، علاوة على أنّه، يكتب ألوانا أخرى من الأدب، و هو موظّف و غير متفرغ لفنّه.

و جدول الطّبعات و الترجمات [1] لروايات بن هدوقة يكشف جيّدا عن أهمّيتها، في الدّاخل و الخارج و عن مخالصتها لجمهور عريض قوميا و عالميا .

- ريح الجنوب :

* 4ط بالعربية في الجزائر و الخامسة بصدد النّشر .

* 4ط بالفرنسية في الجزائر و الخامسة بصدد النّشر .

* 3ط بالهولاندية .

* طبعتان (2) بالألمانية .

* ط واحدة، 50 ألف نسخة بالروسية .

---

[1] هذا الجدول مأخوذ من المؤلف و الصادر في مجلّة المغرب الإسلامي - جامعة إكس كران بروفانس (فرنسا).

* ط واحدة بالإسبانية.

* ط واحدة الصينية.

* ط واحدة بالسلوفانية.

* ط واحدة بالبولوندية.

- نهاية الأمس :

* ط بالعربية – طبعتان في الجزائر – واحدة في تونس.

* طبعتان بالفرنسي.

* ط واحدة بالهولاندية.

* ط واحدة بالبوسمانية (لغة يوغسلافية).

– بان الصّبح :

* طبعتان بالعربية في الجزائر.

* طبعتان بالفرنسية في الجزائر.

* ط واحدة بالألمانية.

* ط واحدة بالهولندية.

- الجازية و الدراويش:

* ط واحدة بالعربية في الجزائر.

* ط واحدة بالفرنسية.

* ط واحدة بالروسية في 50 ألف نسخة.

الـفـصـل الأوّل

صورة المجتمع و الأسرة الجزائرية في ريح الجنوب

ملخّص الرّواية :

في صباح جمعة يتهيّأ عابد بن القاضي للذّهاب إلى السّوق، و هو بين القلق و الطّمأنينة، مرتاحا إلى خطّته القديمة، و إن لم يكن متأكّدا من قبول مالك رئيس البلديّة الزّواج من ابنته.

أمّا هي فقد أفاقت غريبة، كعادتها منذ أن جاءت من أسبوعين من مدينة الجزائر إلى الرّيف، مفكّرة في تغييرحياتها بعد حصولها على شهادتها الجامعيّة، و قبل الزّواج، فحياتها بين أهلها حبيسة البيت، لا تطاق، و تنفجر بكاء، و تدخل الأمّ حجرتها حاملة الفطورة، و تشاركها البكاء، سائلة إيّاها عن السّبب، ناصحة إيّاها بالصّلاة، فتستنكر عليها النّصيحة فتتركها ساخطة مرتئية في دخيليها أنّ الفرنسيّة أفسدتها، و متسائلة إن كانت جديرة برئيس البلديّة روجا و والدها يبذل ماله في هذا السّبيل و هي لا تقوم حتّى بخدمة نفسها.

و تبقى نفيسة مع كتبها، و آلامها و أحلام يقظتها حتّى تسمع نداء العجوز رحمة صديقة العائلة فتستأبلها هي و أمّها بسرور و يتغيّر الحديث عن الحرّية و العمل المنزلي و الزّواج و الماضي و يوظّف الكاتب زيارة المقبرة لمناقشة هذا العنصر الأخير.

و أثناء تدشين مقبرة الشّهداء، يحاول عابد إعادة ربط علاقته بمالك، أمّا النّاس فيفهمون الغرض المزدوج للرجل، من "المشوي" الّذي صنعه، لأنّه أشاع أنّ مالكا خطب أو سيخطب نفيسة، كما فعل معه و زليخة سابقا، أمّا مالك فتعود ذكرى حبّها قويّة لديه حين يرى قبرها، فلا يشارك الحاضرين الغناء و الرّقص و الحديث متأثّرا و صديقه العلم الطّاهر يخفّف عنه و بعد أن يدعوه عابد إلى البيت، و يفاجأ بنفيسة، و شبهها العام بأختها يضطرب رغم حديث والدها و والدتها و العجوز الّذي يلمّح إلى الزّواج.

و ينصرف و النّاس، فيسأله صديقه عن نفسه ساخرا فيجيبه بسخريّة أيضا، تكشف الوضع الاجتماعي البائس الّذي يمنع الطاهر من الزواج لا من نفيسة فقط بل من أية امرأة أخرى، فهو يسكن في غرفة ضيّقة بالمدرسة و يبقى مغتاظا لأنّه يحبّ نفيسة و ينفس عن غيظه بحديثه مع القهواجي عن إهمال مالك، و عما يقتضيه تطوير وضع المنطقة من مشاريع تستوجب العمل الدّؤوب.

خيرة تخبر نفيسة أنّ والدها قرّر تزويجها، فترفض بحدّة تؤلم الأمّ، أمّا الأب فلا يبالي، و تكتب لخالتها مستنجدة بها و تفاجئ رابحا راعي غنم والدها بمقابلته خلسة، ليضع الرّسالة، ليضع الرّسالة في صندوق البريد بالقرية المركزيّة، و يفهم عدم تكلّفها معه خطأ،

فيقتحم عليها غرفتها ليلا فتطرده و تشتمه رافضة الزّنا رغم أنّه يعجبها كرجل – و على إثر ذلك يترك رابح الرّاعي و يصير حطّابا إلى ان يجد عملا أحسن أو يهاجر و يعلّق النّاس على ذلك حين يذهب المقهى و حين يخرج منها يلمح العجوز رحم تصعد عقبة ثمّ لا تظهر فيهرع إليها فيجدها قد سقطت مغمى عليها، فيسعفها و يحملها إلى بيتها و يصادف ثعبانا في فنائه فيقتله، ثمّ تحدّثه عن تاريخ القرية و عن أمّه و أبيه و تقدّم له طعاما .

و تمرض العجوز مرض الموت، فتعودها خيرة و نفيسة و يأتي مالك و تستغرق في هذيانها، في كوابيس و أحلام، تذكر مالكا بعلاجه عندها و عنايتها به ثلاثة أشهر خلال حرب التّحرير، و تحتجّ نفيسة على انعدام الدّواء و الطّبيب و تحتضر العجوز فيبكونها .

يخبر مالك النّاس في المقهى، و يريد عابدا احتواءه، بإقامة الفدوة من ماله و في بيته يرفض، و يحمل ناس القرية الكرماء ما قدروا عليه إلى دار الفقيدة، صدقة على روحها و في السّهرة يتحدّثون عن العالم الآخر و عن الجنّ و النّار و الحساب، فيهرب مالك من هذا الجوّ إلى الغناء فيلحقه عابد و عوض أن يفتح معه سيرة الزّواج يفتح سيرة الضّرائب و "الأرض لمن يخدمها" و تطلّعات العمّال فيفتح مالك حديثا مضادا عن العدل و الإصلاح الزّراعي فيتركه إلى البيت، فيجد الحديث عن الحلال و الحرام في الذهب، ثمّ عن

الاشتراكيّة و يتخاصم و أحد الفلاّحين حو لها إلى أن يقطع الخصومة حفظة القرآن بآية موحية.

أمّا النّساء فتحدّثن عن الزّواج و الطّلاق و ألبسة الشّهرة و قصصن حكايات أليمة عن الزّواج بالإكراه ممّا جعل نفيسة تحسّ بالضّيق و الغثيان فلجأت إلى ادّعاء النّوم فتحدّثن عنها، عن جمالها، و زواجها و سبب رفضها و ذهبت ريح الجنوب فأطفأت القناديل و ذهبت العلّة و أصبح النّاس حزانى للموت و الخسارة معا.

استغلّ عابد الفرصة ليوسط مالكا ليصالحه و الرّاعي، فكان على الحياد و لم يرجع رابح و لم يحضر للفدوة الثانية، التي أقامها عابد في بيته، حيث قسم مالكا التّركة، فتر الدار لبناء مدرسة و الأواني توّخذ إلى متحف الصّناعة التّقليديّة بالقرية المركزيّة و ما بقي للفقراء.

و نفيسة تعود ثانية للبحث عن حلّ، تودّ اقتراح دعوة الخالة، فتتفاجأ بالأب يحدّث الأمّ في الأمر و أنّ الدّعوة توّجّل إلى ما بعد الخطبة فيغمى عليها و يرى حلما رائعا و تفيق على الواقع الأليم، حيث أمّها تبكيها و يدخل الوالد فتزعم استمرار الإغماء نكاية به،

فيأتيها بالطالب الشيخ حمودة الّذي يرتزق بهذه الطّريقة الّتي لا تخلو من شعوذة، فيكتب لها حجابا .

و تعود إلى التّفكير في الحلّ فلا تجد حلا محتملا إلا الفرار فتقرّر أن تقوم بذلك يوم الجمعة بينما يذهب الأب إلى المعلم الطاهر ليعرفه بنية مالك و يحاول الطاهر مع مالك فإذا به يبعده عن الموضوع فيجيب عابد بأنّ مالكا ليس واضحا و لكنّه ليس رافضا .

. . . يوم الجمعة تذهب الأمّ لزيارة القبور و الأب و الأخ إلى السّوق و تأخذ نفيسة ما أعدّت من مال و ثياب و تتنكر في زيّ رجل و تمضي في الطّريق الغابي الوعر، الّذي تضيع فيه مبتعدة عن المحطّة و يلدغها ثعبان و تكاد تموت لولا الصّدفة الّتي حملت إليها رابحا، إذ أخرج السّم من ساقها، و طلبت منه أن يجيرها أياما ففعل بسعادة و اهتمّت بها أمّه و شفيت، و لكن عجوزا دخلت فرأتها، فتحدّثت عنها و كان ابن القاضي قد أخبر رئيس البلديّة و الدّرك و شاع الأمر بين النّاس، و قد أخبره أحد أعدائه بمكانها و حرصه علىعلى العنف فدخل مفاجئا و أخرج موساه و كاد يذبح رابحا، فأخذت أمّه بالفأس و عاجلته فسقط و اسعفت ابنها، و كذلك فعلت نفيسة مع والدها، و تجمع النّاس، فتركته بينه لتعود إلى البيت .

- مـــدخـــل -

اقترنت الرّواية بمعالجة صورة المرأة في المجتمع الجزائري، سواء في أوروبا أو في العالم العربي و أوّل رواية عربيّة جزائرية هي غادة أمّ القرى لرضا حوحو (1947) لم تشذ عن هذه القاعدة.

و ها هو عبد الحميد بن هدوقة يعطي المرأة في المجتمع الجزائري مكانتها المساوية للرّجل من أوّل رواية له "ريح الجنوب" معالجا صورتها من الجوانب الخاصّة و العامّة معا.

1- أعطى الكاتب صورة أولى هي صورة نفيسة الّتي يرهص بالثّورة الاجتماعيّة، و تمثّل ما بعد الاستقلال و ترمز إلى الوطن و الطّبقة الوسطى.

2- صورة العجوز رحمة الّتي تكملها، ذات نزعة تحرّرية لا استبداديّة و هي رمز للحضارة العربيّة الإسلاميّة و إن كانت من الجيل الماضي الّذي يمثّل فيها إيجابيّة أصيلة في معظمها، و إن لم ينسج من بعض القيم السلبية و هي أيضا صورة للفقر المدقع الّذي تعيشه الطّبقة الفقيرة و في هذا تضاد نفيسة و هي شخصيّة ثانية في الرّواية.

3- صورة البكماء أمّ رابح، رمز للطّبقة الدّنيا الّتي تنفجر، و هي شخصيّة من الدّرجة الثّالثة، و تكمل شخصيّتي نفيسة و العجوز في ارهاصها بالثّورة الاجتماعيّة.

4- صورة الشّهيدة زليخة، و ما هي إلاّ امتداد في الماضي لشخصيّة نفيسة و بينما لا تمثّل هي إلاّ مرحلة الثّورة المسلّحة، حيث المصالحة الوطنيّة فإنّ نفيسة تبادر بتحقيق التّجاوز.

و يجب التّنبيه على أنّ هذه الصّور للمجتمع الجزائري، صور حركيّة لا نمطيّة جامدة و هي ذات تناقضات داخليّة و خارجيّة و التّناقض سمة موزّعة على جميع شخصيّات الرّواية يتفاوت لأنّها سمة مرحلة ما بعد الاستقلال.

- الصورة الجسدية -

الصّورة الجسدية لنفيسة :

صوّر الكاتب نفيسة جميلة إلى أبعد الحدود و ركّز على تصوير هذا الجمال من وجهة نظر الآخرين. و لاحظت العجوز أنّها لأوّل مرّة أمام امرأة لا تعرف مثيلا لها في هذه القرية، امرأة قد تكون عاشت تجارب عديدة و لو أنّها تحاول الظّهور في أغلب الأحيان بمظهر الفتاة البريئة كما لاحظت حسنها البادي في كلّ جزء من ملامح وجهها فها هي ترى خطوطا رقيقة متوازية ترتسم فجأة على جبين نفيسة تعبّر عن حزن لا تصوّره الكلمات، و ها هي ذي ترى خطا عموديّا يرتسم بين حاجبيها في استقامة حجّتها، و ها هي ترى

على شفتيها الرقيقتين شيئا ساحرا يملأ النّفس غبطة و عطفا على صاحبته و هي تتحدّث ثمّ ذلك الثّغر الفاتن، لا نشوز لأسنانه و لا انفراج بينهما، بياضه النّاصع يحدث ببلاغة على أنّ كبر السنّ ليس أمرا محزنا فقط ثمّ هذا الهذيان الطّويلان اللّذان يعطيان للنّظرات عمقا و جلال، ثمّ هذان الحاجبان الغريبان ! . . . ليس هناك فتاة فيمن تعرف لها حاجبان كثيف شعرهما بهذه الصّورة !

و مع ذلك فهما في هذا الوجه نموذج فذّ للجمال و حركات يدها و هي تتكلّم. . .

ما أشدّ تعبيرهما و انسجامها مع الكلام ! و هذه الخصلة الكثيفة النّاعمة المرسلة على الجهة اليسرى من الصّدر، حيث يتقوّس قليلا ثمّ تنزل إلى الحزام الأبيض اللاّمع الجميل ! و هذا الفستان الحريري الأزرق ذو الأزهار اللّوزية، " آه لو أستطيع أن أصنع آنية واحدة توحي لناظرها بما توحي به هذه الفتاة! . . . لكنت إذن أسعد امرأة"[1] .

إنّه تصوير يمزج بين المادي و المعنوي و يلتقط الأصداء النّفسيّة و يوحي بأنّ نفيسة شخصيّة إنسانيّة روائيّة و رمز تجريدي أيضا .

---

[1] الرّواية ص : 37.

أمّا مالك في حضور نفيسة فقد كان "ينظر إلى الأرض مجتهدا أن لا تنزلق منه أيّة نظرة نحوها بالرّغم من أنّه كان يحسّ زجزدها أكثر ممّا ينبغي و يجد لذلك لذّة فقيه لا تقدر"[1] و حين وصفها لصديقه الطاهر قال أنّ جمالها "سماوي"[2].

أمّا رابح فقد بدت له "حليمة بيضاء كالقمر[3] و جميلة كالشّهد[4] و حبّ نفيسة و من ورائه هذا الجمال، قد استقطب هؤلاء الرّجال الثّلاثة الذين يمثّلون ثلاث اتّجاهات ان رئيس البلديّة رآها شبيهة بأختها و في ذلك تشبيه للماضي بالحاضر و هي كأختها جسدت نقطة ضعفه.

أمّا رابح فيكتشف بعدها الطّبقي عنه و مع ذلك يضع نفسه في خدمتها و فداها، و قد دفعته دفعا إيجابيا إلى تغيير وضعيّته الاجتماعيّة و كذلك المعلّم الطّاهر الّذي يكتشف الهوة بينهما، ممّا يشحذ اهتماماته السّياسيّة.. و هي تمثّل إلى جانب ذلك مطلبا نوعيّا فلو استجابت لمالك لأبرأت جرحه العاطفي القديم و لو استجابت لرابح لاكتملت سعادته الّتي

---

[1] الرّواية ص :62.

[2] الرّواية ص : 63.

[3] الرّواية ص : 105.

[4] الرّواية ص : 107.

عرفها في زمن حضورها و إياه و لو استجابت للطاهر، لا تمحي إحساسه بالعجز و الغربة.

الـفـصـل الثاني

المرأة داخل الأسرة بين الصورة الجسدية و الاجتماعية

صورة زليخة :

"كانت زليخة كالوردة"[1] و "كانت فتاة جميلة لونها يشبه القمح"[2] وكان هذا الجمال ممّا أشعل حبّها في قلب مالك و ما كان عمرها في سنة 1957 ثماني عشرة سنة أي أنّها ولدت في سنة 1939 . و قد يرمي الكاتب إلى الرّمز بها إلى تطوّر الوعي فقد "عجّلت الحرب بانتشار الوعي لدى الشّعب الجزائري، و دعمت الحركة الوطنيّة و فهم النّواب أخيرا إمكانية تجاوز مطالب الأمس و إحلال برنامج أساسي محلّها يطرح مشكلة النّظام المقبل في الجزائر.

و عند نشر بيان الشّعب الجزائري (فيفري 1943) الّذي كان من صنع النواب كان الرّأي العام مستعدّا لتبنّيه بحماس"[3] .

و قد جعل موتها في سنة 1957 مشيرا إلى "أزمة جبهة التحرير الوطني الّتي انفتحت في 1957"[4] و أدّت إلى تفسّخ الهيئات القيادية إثر رقص بحث مشكلة المحتوى الاجتماعي

---

[1] الرّواية ص : 29.

[2] الرّواية ص : 50.

[3] ميثاق الجزائر – اللجنة المركزية للتوجيه – مجموع النصوص المصادق عليها من طرف المؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني – طبع بمطبعة جريدة النصر – قسنطينة – ص : 14.

للجزائر المستقلة ممّا جعل الأزمة أعنف و أوجع"[1] و هذا التاريخ 1957 يتكرّر عددا من المرّات في كتابات عبد الحميد بن هدوقة عموما لتأكيد هذا المغزى و التّنبيه إلى معنى ثان فسنة 1957، من السّنوات الحاسمة في حرب التّحرير و الكاتب كثيرا ما يشير إلى تصاعد الحرب و اشتدادها في هذا التاريخ، إذ أنّها كانت منعرجا خطيرا و هو يستعمله سواء في رواياته أو قصص كرمز أحيانا و كحوادث أحيانا أخرى.

و الكاتب أحيانا يهمل الصّورة الجسديّة لشخصيّاته الرّوائيّة و نحن مثلا نفتقد هذه الصّورة عند خيره افتقادا كاملا، و الحقيقة أنّه قد وفّق في ذلك، لأن جسد خيرة ليس له أيّة وظيفة فنيّة في الرّواية و لكنّه في المقابل يعطي لوحة برقيّة عابرة لمجتمع النّساء في المآتم[2].

الصّورة الجسدية لأمّ رابح :

"لعلّ أشدّ من أعجبت بها منهنّ امرأة تجاوزت الأربعين كانت الرّغم من أسمالها البالية جميلة الهيأة، خفيفة الحركة، مشرقة المحيا و كانت أكثر هن نشاطا . . . كانت حينما

---

[4] نفس المرجع – ص : 29.

[1] نفس المرجع – ص: 29.

[2] الرّواية ص : 172-173.

تقترب من الجهة الّتي تجلس فيها نفيسة تبتسم لها . . . و لكنّها لم بكلمة منذ أن دخلت الدّار . . . انتقل بها فضو لها من الملابس إلى الوجه فبدا لها جميلا منسجم الأجزاء رغم نضوب الشّباب منه : . و حاولت أن تتخيّل صاحبته في ملابس أوروبية عارية الرّأس و أجهدت نفسها محاولة أن تنزع بخيالها عن المرأة أسمالها و فقرها و كهولتها فتصوّرتها تشبه إلى حدّ بعيد إحدى بطلات قصص دوستويفسكي بشعرها الأصفر و عينيها الزرقاوين"[1] .

غير أن هذه المرأة الجميلة بكماء، و قد سبق للكاتب أن وظّف رمز الأبكم الّذي يستعيد نطقه عبر حوادث عنف، في قصّة الأشعّة السبعة من المجموعة القصصية الّتي تحمل كعنوان نفس اسم القصّة[2] .و هما رمزان للجماهير المستضعفة التي تعلي صوتها في مراحل معيّنة لتفرض ثقلها، حييث تبدو الأمور غير واضحة أو وشيكة الميل إلى الخطّ الرّجعي، و قد رمز الأبكم لفترة 1957م في الجزائر أمّا البكماء فترمز إلى فترة ما بعد الاستقلال، و سبب بكم أم رابح يرجع إلى الشّرط الاستعماري، حيث انتشر مرض (التيفوس) في فترة الحرب العالمية الثانية و أخذت الموت الكثيرين و تشوّه الكثيرون خلال تلك المجاعة.

---

[1] الرّواية ص : 172-173.

[2] الأشعة ال سبعة ش.و.ن.ت - ط 2 - 81 - ص : 9.

و سنّ الأربعين الّتي بلغتها، هي سنّ النّضج، و بعث الرّسل و هي يتهيّأ فيها النّاس للقيادة عادة، و هي تمثّل جيلا متوسّطا بين نفيسة و العجوز رحمة، مثلها مثل خيرة.

الصّورة الاجتماعية لنفيسة :

صوّر الكاتب نفيسة اجتماعيا ملتصقة بواقع معقّد، فهي من أصل إقطاعي، بورجوازي صغيرة عاشت الشّوط البورجوازي في الجزائر، أثناء الثورة المسلّحة و تقيم فيها بعد الاستقلال حيث الإرهاص بالثّورة الاجتماعية و بشائر الاتّجاه الإشتراكي.

و هذا الوضع الّذي يجعل الإنسان في الجزائر، و في العالم الثالث عموما إنسانا ممزّقا لا يجد الإنسجام في هذه التّركيبة المهتزّة، جعل نفيسة تحتكّ بالقيم الإقطاعية السّائدة في الرّيف و بالقيم التّحريريّة الفرديّة و الجماعيّة في المدينة بالإضافة إلى اللّغة الفرنسيّة الّتي تثقّفت بها، فمنحتها دراستها بعض التّغريب و الابتعاد عن جوهر الحضارة العربية الإسلاميّة، مدينة الإسلام في شخصية المسلمين، فالفتاة تعيش عوالم متباينة، عالم الرّيف و عالم المدينة و عالم الكتب و النّصّ التالي يضيء هذه النّقطة تماما" فكّرت نفيسة في كلام العجوز و حاولت أن تتصوّر جدواه من خلال ما تحلم به من حياة لها في المستقبل، فلم تجد أيّ نقطة للمقارنة بين هذه الحياة السّاذجة البسيطة الّتي يحياها أهلها و كلّ سكّان البادية و بين الحياة الحضريّة

المعقّدة الّتي عاشت منها قليلا لدى خالتها بالجزائر و قرأت عنها الكثير في الكتب و القصص السينمائية، أين هذه الحياة من حياة "سيسي" الإمبراطورة و "الأميرة ثريا" و "إليزابيث تايلور" أو "الأميرة قراس" و غيرهنّ من الأسماء اللاّمعة الّتي تكاد تكون حروفها قد قدت من نور ؟ أنّها لا تفكّر في أن تتزوّج بالبادية و نحيا فيها حياتها فذلك أسفل ما يمكن أن ينزل إليه خيالها، و خصوصا أنّها تعرف قصّة أهتها زليخة الّتي رضيت بالزّواج من ذلك الفتى القروي مالك الثّائر الذي كان سبب قتلها و الّذي هو الآن رئيس بلديّة . . . لا . . . لا هذا لا يكون الزّواج بالبادية شيء غريب جدّا بشع إلى درجة قصوى و إذن ما الفائدة في أن تتعلّم حرف البادية ؟

إنّ الحياة الّتي تحياها الآن بين أهلها لا تختلف عمّا قرأته بخصوص عصور ما قبل التاريخ".[1]

و نفيسة تحبّ الجمال و الجميل لكنها لا تجعل هذا العنصر جوهريا في مواقفها، فهي معجبة برضا الجميل زميلها في الدّراسة و هي مأخوذة بجمال رابح و مع ذلك فدوافعها الأساسيّة لاختيار الزّوج المناسب دوافع مختلفة تماما . .

---

[1] الرّواية – ص : 33.

أمّا عمر نفيسة فقد حدّده الكاتب بسنّ الرّشد أي ثمانية عشر عاما، و بما أنّ الرّواية تجري في صيف 1964 فإنّ ميلادها يكون في سنة 1946 السّنة الّتي تلت حوادث ماي 1945 و هي الفترة الّتي بدأ فيها الإعداد للثّورة التّحريريّة عن طريق المنظّمة السرية .

أمّا عمر أختها الّتي تشبهها تماما فكان قبلها بسبع سنوات أي سنة 1939 و هي فترة نشوب الأزمة الإقتصادية و الحرب العالمية الثانية، هذه الفترة الّتي أنضجت الوعي الوطني في الجزائر، و نجد أنّ الكاتب ينبّه دائما إلى تشابه الأختين و تكرار القصّة و هو بذلك يشير إلى خيط الاستمرار الّذي يمسك الحاضر بالماضي و يدخل في صياغة الثّورة الوطنية و الثّورة الاجتماعيّة معا و من الجذور .

و هذه السّنّ هي سنّ المراهقة أيضا أي سنّ بروز الشّخصيّة و تفاعل التّناقضات و نجد أثرها في شخصيّة نفيسة المتذبذبة على المستوى الخاصّ و العالم أيضا إذ أنّ الجزائر قد أصبحت بعد الاستقلال الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية و لم تكن الرّؤية السياسية قد تبلورت بعد .

الصّورة الجسدية للعجوز رحمة :

"كانت فتاة عروبا تحمل في صدرها الممتلئ و في شفتيها الباسمتين و في عينيها الممتلئتين أحلاما و آمالا، في صورتها العذب. . . أمّا الآن فأين هي تلك الفتاة من هذه العجوز المحطّمة"[1] "ذراعاها تشبهان عودين واهبين لم يبق فيهما إلاّ الجلد يضمّ العظام و العروق"[2] يداها ترتعشان و تسقط مرّتين من المنحدر عند نقل التّراب، و ترى الثّعبان في فناء البيت فلا تقدر على قتله . إنّها عجوز في السّابعة و السّبعين من عمرها تنتظر الموت في مشقّة.

و لقد قصد الكاتب شيخوختها و موتها و هي في ذلك صورة واقعيّة و رمز يقول الكاتب "العجوز رحمة جمع لإيجابيات جزائر الماضي. إنّها الوجه المشرق للجزائر القديمة هذا الوجه الّذي أصوّره حتّى لا يغيب عن ذاكرة أجيال الحاضر و المستقبل، و ممارستها لصناعة الفخّار بالإضافة إلى معناه على المستوى الواقعي الظّاهري يرمز إلى فكرة خلق الإنسان من الطّين و تموت العجوز رحمة تاركة التّراب بلا تشكيل، و في هذا رمز إلى أنّ

---

[1] الرّواية ص : 138 - 139.

[2] الرّواية ص : 125 - 126.

الجزائر القديمة لا يجب أن تتحكّم في توجيه الجزائر الجديدة[1]. و أرى أنّ تجسيد القيم الحضارية المضيئة المستمّدة لوكان في شخص شابه لكان أكثر توفيقا و تأثيرا، لأنّ الشّابّة تكون أكثر إيحاء بالحياة و مع ذلك فإنّ العجوز رحمة جسد فان روح شابّة لا تشيب، فلقد خلدها الكاتب عن طريق عملها، فأوانيها المبثوثة في جميع بيوت القرية تستحضر ذكراها. كما أنّ أثرها الطيّب في جميع النّفوس من له مغزاه.

فقد كانت نفيسة "تحبّها فهي تجد فيها أكثر من فضيلة، ثمّ إنّ حكاياتها و ما ترويه من أمثال و طرق و صفاء روحها و قناعتها كلّ ذلك يجعل نفيسة تحبّها و يجعل كلّ من يعرفها يحبّها و يبجلها "[2]، و قد أدركت أثناء مناقشاتها معها أنّها امام امرأة لم تمنعها بداوتها من النّفاذ إلى حقائق قد لا تخطر على البال"[3] و لقد تلقى سكّان القرية نبأ وفاة العجوز بتألّم و تأثّر بالغين فلقد كانت شخصيّتها تمثّل في كلّ خيال نموذجا للمرأة العاملية، للأمّ الحنون و أحسّ كلّ واجد أنّ موت العجوز يعنيه قبل غيره[4].

---

[1] الرّواية ص : 138- 139.

[2] الرّواية ص : 38.

[3] الرّواية ص : 16.

[4] الرّواية ص : 171.

فالرّواسب الإقطاعية و الثّقافية التّغريبيّة و الصّفحة في حلم الفتاة، الّذي يذهب بها إلى الحياة الإمبراطورية هذه النّبتة الرّجعيّة ترمز إلى أطماع فئة معيّنة. أمّا رفضها للحياة في الرّيف فلا أجد أنّه كذلك لأنّ الغربة الّتي تطوقها ليست خفيفة الظّلّ و إلى الآن فإنّ أغلب المثقّفين لا يخصّصون للرّيف سوى زيارات موسميّة، و أكثرهم التزاما، قومون بالتطوع لمدّة معيّنة و لكنّهم يقيمون بالمدينة.

الصّورة الاجتماعية للعجوز رحمة :

إنّ الفنّانين الشّعبيين كالحرفية العجوز صانعة الفخّار، رغم أنّهم ليسوا أجراء فلا يمكن وضعهم ضمن الطّبقة الوسطى، بل هم ألصق بالطّبقة الفقيرة، فالعجوز تشكو الجوع و هي لا تجد حتّى الحاجات الضّروريّة و قد أدرك رابح أن الجوع هو الذي سبّب لها الإغماء لا السّقطة[1] و العجوز ورثت الحرفة عن أمّها حيث أنّ هذه الحرفة تنتشر في الأرياف و تمارسها أغلب النّساء، و إن كانت تمهر فيها بعضهنّ، فيكفين الأخريات و لكن الشّيخوخة أثّرت على العجوز فصارت تنتج كميّة أقلّ من الأواني و تأخذ مردودا أقلّ بالتّالي، و مع ذلك فهي تهدي منها و هي تُقْري الضّيف و لا تقبل استضافة الآخرين لها إلاّ

[1] الرّواية ص : 122.

تحت الإلحاح. و العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة في القرية فيها حدّ أدنى من التّكامل العام كالهبة و الصّدقة و الإطعام الجماعي في المناسبات، و كرم الضّيافة و النّجدة و تبجيل الكبير و عيادة المريض و حتّى البلديّة توزّع الدّقيق و هو الغذاء الاجتماعي الأساسي في الرّيف و مع ذلك فعيش الكفاف غير مضمون لأغلبية سكّان القرية و العجوز الّتي فقدت كلّ أهلها و زوجها صار لها أهل القرية أهلا و صاروا يعاملونها و هم يشعرون كأنّها أمّ لهم جميعا و هي تعاملهم كأبناء.

الصّورة الاجتماعية لخيرة :

إنّ كونها زوج عابد بن القاضي، قد منحها امتيازات ماديّة و إن كان نمط المعيشة اليومي بسيطا، فهي لا تتعرّض للحاجة و لها مضغها و مع ذلك فهي تقوم بتربية الدّجاج لفائدتها الخاصّة لأنّ الرّجل في الرّيف الجزائري عامّة لا يتولّى إلاّ المصاريف الكبيرة فقط و هي تقوم بحلب الأغنام و بالخدمة المنزليّة الّتي تشكو عبء القيام بها وحدها. أمّا في المناسبات فنساء القرية يتعاون كلّهن، و هكذا فغنى زوجها جعلها من جهة كريمة تتصدّق بسخاء و تكسب ودّ النّاس و لكنّه جعلها أسيرة النّظرة الاستبداديّة السّائدة الّتي لا ترى المرأة داخل الأسرة إلاّ تابعا و خادما للرّجل، و لعلّ لفقدان أغلب أهلها أثناء الحرب دخل

في ذلك، كما أنّ بؤس الأغلبيّة في القرية جعلها تدرك أنّها محظوظة و عليها الحفاظ على زوجها و بالتّالي مكانتها .

الصّورة الاجتماعيّة لأمّ رابح :

داخل هذه الأسرة أمّ رابح من الطّبقة الفقيرة، حيث ابنها يرعى أغنام عابد، مقابل مردود عيني، بحيث يتكفّل عابد بالحدّ الأدنى من مصرفهما .

أمّا هي فذات نشاط وهمّة في عملها المنزلي، ممّا يهيّئها للعمل حتّى خارج البيت و هي تخضع لسلطة ابنها حتّى في القرارات الخطيرة يقول رابح "لا تستطيع أن ترفض فأنا الّذي أتصرّف هنا"[1] .

و عبر الصّورة الاجتماعيّة لهؤلاء النّسوة رأينا الصّورة الاجتماعيّة للأسرة في القرية عامة في الجزائر بحيث تنفرد قليلا من العائلات بحياة متوسّطة و لا أقول مرفهة بينما تحيا البقيّة في البؤس و العوز تقول إحدى النّساء "لست أدري لماذا لا تكون جميلة . . . الأكل

[1] الرّواية ص : 252.

الطّيب و الرّاحة و الظّلّ. . . لو ذه بت أسبوعا واحدا إلى الحقل تحصد لرأيت ذلك الجمال كيف يبذل[1]".

[1] الرّواية ص : 189.

الـفـصـل الثالث

الصورة النفسية داخل الأسرة

الصّورة النّفسية لنفيسة :

و هكذا تجيء صورة نفيسة، شخصيّة منشطرة و مفتقدة إلى التّكافؤ المنطقي فلا نجد عندها النّظرة الواضحة المتسقة في مجملها بل هي أشبه بشخصيّات "دوستويفسكي" شخصيات مزدوجة في نوازعها النّفسي بين أشتات الحوادث المتنافرة الّتي تقع فريسة لها . . . و لهذا قد يتجاوز فيها في آن واحد ما هو جليل سام و ما هو دنيء حقير كما يتجاوز الحبّ و البغض كذلك[1] .

و قد تعمّد الكاتب تصويرها كذلك مشيرا في السّرد عددا من المرّات الّتي تعقدها و ازدواجها يقول :"لم تكن تفكّ في شيء مخصوص و لا في حياة أخرى واضحة الآفاق و إنّما هي تفكّر في كلّ شيء و في لا شيء"[2] .

لقد عاشت في المدينة عيشة متحرّرة تحرّرا واسعا فهي تخرج متى تشاء حتّى في اللّيل و تنفسخ و تذهب للسّينما و البحر و لها حقّ في الصّداقة مع الجنسين و لها حقّ في التّفكير في المجموع. . . و لم ترفض من قيم المدينة سوى الإباحية و التّكلّف، و هذه الحرّية

---

[1] د. غنيمي هلال – الموقف الأدبي – ص: 9

[2] الرّواية ص : 9.

الواسعة لم تذهب سدى، فقد منحتها وضوح الهدف من البداية للنّهاية قالت في حديثها النّفسي و هي تفّر في الزّواج تفكيرا عضويّا "لا أستطيع أن أتزوّج الآن.. دروسي، حياتي هذه يجب أن أنهي دراستي أوّلا و أغيّر حياتي بعد ذلك[1].

و لهذا قرّرت تحمل الغربة مؤقتا حتى تجيء نفسها و لم تكن تخفي عن أمّها أمر تحولها و لا حتّى عن العجوز رحمة صديقة العائلة. فتذمّرها عن الوضع عامّة و رفضها لبعض الإملاءات بين، و لكنّها تقع في الفخّ مبكّرا و تتعرّض لاختبار حرية صعب، فالولد يقرّر وحده انقطاعها عن الدّراسة لتزويجها و هذه قيمة الغربة الّتي حاصرتها لأنّها ترمي بكلّ آمالها عرض الضّياع. و تقول نفيسة الأفق هنا محدّب، لكن ليست كلّ الآفاق محدبة ... يتعين على أن أختار أفقي، أختار مهما كلّفني الاختيار"[2].

فغايتها واضحة في جوهرها وإن كانت غير محدّدة في تفاصيلها و هي إن كانت قد ارجأت التّطبيق فذلك لفجاجة الظّروف و عدم نضجها على كلّ الأصعدة و لهذا فهي و إن افتقدت إلى الوسيلة الجماعية الثوريّة المنظّمة فقد تمرّدت بحسب ما تسمح به ظروفها

---

[1] الرّواية ص : 9.

[2] الرّواية ص : 201.

القاهرة و طبيعتها الّتي لم تصل بها إلى درجة من الجرأة توجه بها الولد بدل الهروب فقد كانت حائرة حيرتها أكبر من أن تعود إلى سبب واحد . كانت خيرة جافّة صارمة تعبّر عن عجزها أمام هذه التغيبات الكثيرة الخارجيّة الّتي تخطّ للنّاس مصائر لا مناص لهم من حياتها سواء لاءمت آمالهم أم حطّمتها، أبوها يقرّر منعها من العودة إلى العاصمة، من مواصلة الدّراسة، يقرّر تزويجها و يختار هو من تتزوّج به. أمّها ترى أنّ سنّها بلغت حدّا لم يعد يسمح لها بالإنزواء في حجرة مظلمة! القرية داخل هذه الأسرة الرّيفيّة لا تهضم حرية فتاة بلغت سنّ الرّشد كأنّ الرّشد انحراف عقليّ تقيّد فيه الحرية ! الدّين أيضا له كلمة حتّى في الملبس عليها أن تلبس أثوابا لا تسمح للنّزر بملامسة جزء من ساقيها أو ذراعيها أو صدرها، و ليكن الحرّ شديدا أو خفيفا ذلك لا يهمّ. الحظّ أيضا له كلمته عليها أن تذعن لما يقدر لها من حياة غيبيات و ظروف خارجيّة تتحكّم في مصيرها تقاليد بدائيّة تقيّد سلوكها . . . ماذا عساها أن تفعل وحدها لمواجهة كلّ ذلك؟ هل تثور ؟ و لكن أيّة ثورة، و في أيّ اتّجاه ؟ فلا فرع هناك للمنظّمة النّسائيّة و لا للشبيبة و لا غيرهما – لكنها

مع ذلك لا بدّ أن تثور أن تعارض كلّ سيرة خارجيّة مهما كانت ثورتها وحدها هي الّتي تستطيع تحديد الاتّجاه و الطّريق[1] .

الصّورة النّفسية للعجوز رحمة :

صورة الكاتب العجوز رحمة داخل الأسرة ذات نظرة موحّدة شخصيّة ذات تكافؤ منطقي حتى في تناقضها أحيانا . و هناك سمتان رئيسيتان يعد مفتاحا لشخصيّتها هما حبّ العمل و حبّ النّاس، و هما سمتان منقطعتا النّظير، فهي تطمح للإبداع رغم سنّها، و لا يردّها شيء عن عملها إلاّ الموت، و هي حتّى تستبعد عابد بن القاضي مثلا من دائرة المستقبل فإنّها لا تودّي، تماما كما يفعل مالك بل تعامله معاملة إنسانيّة يفني عليها هو نفسه و يظهران حبّها لأطراف الصّراع جميعا قد أوقعها في بعض التّناقض فهي تحبّ نفيسة مثلا، و تتفهّم تطلّعاتها التّحريريّة مع بعض التّحفّظات الواقعيّة و لكنّها تشغل الأمل في قلب مالك للزّواج منه، و هذا يرضي عابد بن القاضي أيضا . و على كلّ فالعجوز أشبه بأمّ لمالك و لناس القرية جميعا، و هي قد داوت جرحه سنة 1957 أثناء الثّورة المسلّحة و مستعدّة لعلاج جرحه العاطفي القديم الجديد .

---

[1] الرّواية ص : 88.

و هي تعتقد أنّ زواج نفيسة صعب [1] و لكنه ليس مستحيلا، إذ واصلت السّعي في هذا الاتجاه و يبدو أنّ هذا حدس الجميع، رغم تذبذبهم، فمالك لا يخطبها رسميا، و لا يتنازل عنها و هي لم تصل إلى حدود اللّارجوع و الوالد يلعب اللّعبة، لأنّه يرى نفسه مضطرّا إليها و ليس أمامه غيرها .

و زواج مالك من نفيسة ليس شرطا أن يكون زواج الإقطاع بالسّلطة فقد يكون زواج القيم التحررية الشّعبيّة العامّة، بالسّلطة الممثّلة للانفتاح الإشتراكي أو هو تحالف لفئات الطّبقة الوسطى الثّوريّة.

و لذلك جعل الكاتب الآنية الجديدة غير منجزة، و نفيسة غير مرتبطة و مالك ينأى عن الفخّ و ان بدل الأوّل وهلة أنّ العجوز ذات نظرة تقليديّة في الزّواج.

و العجوز رحمة "رحمة" للأسرة و الجميع فقد فتحت خيرة لها قلبها و شكت لها ابنتها و فعلت نفيسة معها نفس الشيء فشكت عبوديّتها و شخّص ها و رابح الّذي عاش مغلقا طوال عمره تهديه الهجاء الأوّل لتاريخ قريته و عائلته فيكتشف أنّه كان كأحد

---

[1] الرّواية ص : 28.

الأكباش جهلا و هي تقترح تناول الأمور دوما بحكمة و واقعيّة و مرونة و على حسب المثل الشّعبي "لا تكون حلوا فتبلع، و لا مرّا فتدفع"[1] و هو الحلّ الفعّال الّذي تراه .

الصّورة النّفسيّة لخيرة :

إنّ خيرة تقدّر كونها زوجة أغنى رجل في القرية و لأنّه لا يوفّ لها مستوى معيشة ميسورا بالنّسبة لأهل القرية الفقراء فهو جدير بأن تخضع له في أفراد العائلة، و هذا الخضوع يكاد يشكّل شخصيّاتها عامّة فنجد أنّها مرتفعة النّبرة حيث تتحدّث عن مقاصد الزّوج و منخفضة النّبرة حيت تتحدّث عمّا هو شخصي.

و هي تؤمن بأن "من لا يحدّثه قلب لا يفيد تذكيره"[2] و لذا لا تحاول إقناع زوجها برفض نفيسة الزّواج، أو حتّى إشعارها هي بمسؤوليّة الأمومة في هذا الموضوع، كما لم تحاول إقناع ابنتها بالمشاركة في العمل المنزلي، رغم شعورها بالإرهاق و الغبن، و كلّ ما يقع لها تفسّره بالقضاء و القدر متقبّلة إيّاه مخفّفة عن نفسها بالصّلاة و البكاء و الصّدقات.

---

[1] الرّواية ص : 28.

[2] الرّواية ص : 28.

و هي مؤمنة بالجنّ و السّحر و فاعليّة الأحجبة االتي يكتبها الشّيوخ. و يبدو مع نفيسة و مع زوجها انطوائيّة، و تعبّر عن مشاعرها بالبكاء أو التّفاني في الخدمة، أمّا مع العجوز رحمة و مالك فتبدو انبساطية و ذلك لصدقها معها . أمّا آمالها فلا تتعدّى كسب احترام الزّوج و لو قليلا و كسب محبّ و اهتمام نفيسة و عدم انقطاع المعيشة الميسورة نسبيا .

الصورة النفسية لأمّ رابح : .

أمّ رابح امرأة انبساطيّة رغم البكم، تعبّر عن ذلك بما تمنحه من ابتسام و إشراق متّصل و حيويّة في العمل المنزلي . و هي تخضع لابنها في الحبّ و تدافع عنه في عنف . و قد عرفت الحبّ مع أبي رابح،و رغم إصابتها بالبكم كان وفيا مخلصا و أكمل الزّواج و أنجب منها رابحا ثمّ توفّي و لم تفقره هو فقط بل كذلك أغلب أهلها .

و قد جعلها الكاتب إثر تنطق الحادثة موظّفا النّظريّة النّفسيّة الّتي تقول أنّ الصّدمة تداوي الصّدمة.

الـفـصـل الرابع

الأسرة بين الموقف و النموذج

موقف نفيسة من الزّواج داخل الأسرة و المجتمع :

ترفض نفيسة الزّواج التّقليدي الّذي يكون فيه الوالد عن طريق الحكم المطلق و تتطلّع إلى اختيار شريك الحياة بنفسها عن طريق تعاون و انسجام في المشاعر و التّطلّعات التّحريرية الّتي تريد لها التّحقّق و مع إحساسها بالحاجة الجنسيّة و تفكيرها عفويّا في الزّواج، فهي فتاة عادية منضبطة ذات بعد نظر ترى أن تكمل دراستها و تغيّر حياتها أوّلا .

إنّها تكره عبودية الآباء و الأزواج و صورة أمّها، صورة منفّرة تجعلها تصرخ في وجهها بعصبيّة "الذلّ الّذي عشت فيه أنت لن أعيشه ! كوني أمّا لغيري إن شئت، و ليكن أبا لمن أراد، أمّا أنا فلن أدع هذه اللّعنة تبلغ منّي ما بلغت من غيري لست امرأة أفهمت لست امرأة"[1] .

و قد فكّرت نفيسة في عدد من الحلول وحدتها غير محتملة النّجاح و شرعت في أحدها، إذ حمّلت رابح وضع الرّسالة الّتي كتبتها لخالتها في صندوق البريد ففهمها فهما خاطئا تماما، و هكذا تحوّلت العزلة الّتي تعيشها و العادات و التّقاليد السّائدة، و الحلّ في إطار القرية، و لذا هربت و الهروب سلوك تقليديّ تمرّديّ شائع على كلّ حال و لكنّه

[1] الرّواية ص : 98.

يتكرّر مع هذه الفتاة المتعلّمة و هو يشير إلى ما سبق أن ذكرناه من كون نفيسة ما زالت تحت سيطرة الرّواسب الإقطاعيّة.

أمّا مستوى وعيها النّظري فهو أعلى و يشير إلى الحلّ الصّحيح المنتظر في المستقبل، تقول نفيسة هل تثور ؟ و لكن أية ثورة؟ و في أيّ اتّجاه أنّها لا تعرف أحدا في القرية و هب أنّها عرفت ماذا يجدي ذلك ؟ فلا فرع هناك للمنظمة النسائية و لا لشبيبة الحزب و لا غيرهما.

موقف نفيسة من الجنس :

نفيسة هي أوّل فتاة جزائريّة في الأدب الجزائري العربي. وعت حقّها في امتلاك جسد، و هو ليس جسدا مدنّسا، و لا وسيلة لتفجير كبت الكاتب، أنّها فتاة عادية و قد طرح مشكلها الجنسيّ بلا مبالغة فوضع حدّا بين الإثارة و الخطأ، فنفيسة في الرّواية تعي حاجات جسدها و رغباته و تنام و هي تحلم برجل بجانبها [1].

---

[1] أحلام مستغانمي الراسي – المرأة في الأدب الجزائري المعاصر – الجزء 1– رسالة دكتوراه – ص : 393 – المشرف جاك برك باريس .

و يقول الكاتب "القرية غافية بين أحضان الجبال و سكّانها نيام، لكن نفيسة لم تستطع نوما ، تقلّبت عشرات المرّات في فراشها و أغمضت عينيها العشرات فلم يزدها التّقلّب و الإغماض إلاّ أرقا على أرق، أحسّت في هذه اللّيلة شيئا ربّما أحسّته في الماضي و لكنّه لم يكن مثيرا إلى هذه الدّرجة. . . إنّها تحسّ دبيبا و ألما في أسفل صلبها و تشنّجا في أعلى فخذيها و جزءا من بطنها و هي لذلك تشعر بالحاجة إلى جسم غريب يلامس جسمها أو يد قويّة تقبض بشدّة على أماكن تؤلمها كأيدي الرّاعي و بما أن لا سبيل إلى هذا الجسم الغريب فهي تتقلّب و لكن التّقلّب زاد جهازها العصبي يقظة و توتّرا" .

و مهما يكن الأمر فإنّ نفيسة الآن في فراشها و هي قد بلغت أعلى ذرى التذشنّج كانت تشعر بالحرارة تزداد كلّما مرّت دقيقة في تلك اللّيلة الطّويلة بالرّغم من أنّها من ليالي الصّيف و بالرّغم من أنّ الحرارة كلّما تقدّم اللّيل تنخفض ! لكن الحرارة كانت لدى نفيسة نفسيّة فيزيولوجيّة أكثر منها طقسيّة[1] .

و على كلّ فقد صوّر الكاتب أهواء المراهقة عند نفيسة و لم يصوّر حبّا جديّا و لذا نجدها موزّعة بين رضا الجميل زميلها في الجامعة الّذي لا جدوى منه لأنّها لا تقبل

---

[1] الرّواية ص : 103 - 104.

المبادرة و بين رابح الّذي أثارها جماله و شبابه و أنغام نايه، إلى درجة كبيرة و لكن عندما احتكّت به أثناء هروبها و إقامتها في بيته، عاد إلى حجمه الحقيقيّ و نزل من المثال الخيالي إلى الواقع العادي و نفيسة تثار حتّى بفعل الحرارة و مع ذلك فقد رأيناها عفيفة ترفض ما اعتزم عليه رابح بل و تجد في الحياة خلقا حسنا ، تمدحه في أسرتها بالقرية و تجده حتى في نفسها عند زيارة مالك مثلا.

موقف نفيسة في الأسرة اتجاه العمل المنزلي :

داخل الأسرة ترفض نفيسة العمل المنزلي "الرّيفي" و تقبل العمل المنزلي "المديني" الّذي أتقنته عند خالتها زبيدة وتلقّت طرفا منه في المدرسة بالجزائر العاصمة. و هي تقول في نفسها حين فاتحتها العجوز في الموضوع "أنظر إلى أمّي أعمل مثل ما تعمل ! . . . مسكينة هذه العجوز الطيّبة إنّها لا تدري أنّني لا أريد أكون مثل أمّي"[1] كما أنّها ترى أن لا داعي لتعلّم العمل المنزلي "الرّيفي" لأنّه لا مكان له في مستقبل أيامها . فهي تفعل ما يتّفق و نظرتها لا تفكّر في شقاء الأمّ و مساعدتها و هي أوّل من يقوم و آخر من ينام و هكذا تبدو قاسية و أنانيّة.

[1] الرّواية ص : 33.

و مع هذا ففي أعماق نفيسة يتبلور مفهوم أبعد من الاستعلاء عن العمل المنزلي الرّيفي و قبول المديني و هو التّعاون بين المرأة و الرّجل داخل هذه الأسرة و هذا المجال.

و يقول الكاتب "كانت الأمّ البكماء بصدد تقشير "الهندي" و كان رابح جالسا القرفصاء يناو لها الثّمرات ثمرة فثمرة بعد غسلها بالماء لإزالة الشّوك عنها و كانت السّاعة حوالي الخامسة مساء و الطّقس في غاية الاعتدال على خلاف الأيام السّابقة و كانت نفيسة واقفة بعتبة الباب تنظر إلى الأمّ و ابنها و هما يتعاونان في بساطة و عضويّة رائعة [1]".

لا تواصل نفيسة هروبها بعد الحادثة العنيفة الّتي اعتدى فيها الوالد على رابح، و تلقّى ضرب فأس على رأسه من الأمّ البكماء.

فهي بعد أن خاطرت في سبيل حقّها ترى لها واجبا تجاه الأب "وقفت أمام الباب الخارجي لحظات تفكّر فيها يجب أن تقوم به . . . لأن تطوّر الحوادث قلب مشروعها رأسا

---

[1] الرّواية ص : 259.

على عقب فهي إن كانت تعتزم السّفر إلى الجزائر في هاته اللّيلة و لكن بعد كلّ ما وقع لم يعد ممكنا هذا السّفر"[1].

[1] الرّواية ص : 265 – 266.

العائلة" في الرواية العربية

إنّ العائلة الجزائريّة هي عبارة عن مجتمع كامل، يتّسع مجال تأثيره إلى نشاطنا الإقتصادي و الدّيني و السّياسي و العلمي. فما من عمل مهمّ تقوم به حتّى خارج المنزل إلاّ و له انعكاس و ردود فعل خاصّة على العائلة. و في صدد حديثه عن العائلة الجزائرية و وضعها المتشتت قال "فراد فانون" في كتاباته "تحليل اجتماعي للثّورة" (ماسبيرو 1959 Maspero) :"يجب استنطاق كلّ شبر من الأرض الجزائريّة لتقييم حالة التّقسيم و التّجزئة و التّشتت الّذي تعاني منه العائلة الجزائريّة".

إنّ القانون الجزائري الحالي يجعل من العائلة الخلية الأساسية الّتي يرتكز عليها المجتمع. كما أنّ العائلة تتمتّع بالحماية من طرف الدّولة و المجتمع (الدّستور الجزائري، استفتاء يوم 76/11/19 المادة 65).

لكن و رغم بعض المحاولات، فإنّ تحليل هذه المؤسسة الاجتماعيّة يبقى ناقصا. كما أنّ الحقائق المسلّم بها إلى حدّ الآن، بدأت تنهار مع ازدياد الاهتمام هذا الموضوع.

و من بين القضايا السّاخنة في هذا المجال قضيّة تعدّد الزّوجات و الّتي تمسّ شخصين من بين ألف مستجوبين.

فالسّؤال مطروح حول إمكانيّة منعها نهائيا رغم مخالفة هذا الإجراء لروح النّصّ القرآني ؟

و كذا قضيّة التّبني و إباحته رغم انتماء الطفل إلى عائلة أخرى؟

بالإضافة إلى الوضع القانوني للمرأة في كثير من الميادين و خاصّة فيما يتعلّق بالإرث ؟

كلّ هذه القضايا تبقى غامضة و تشكّل موضوع نقاش و جدال محتدم و بالتّالي مادّة أساسيّة لبعض الرّوايات العربيّة .

ما هي الرّواية الجزائريّة المكتوبة بالعربيّة ؟

تعبّر سنوات "السّبعينات بالجزائر فترة نشوء و ازدهار أمّا بالنّسبة للشّعر و المقالة فتاريخهما أقدم كما أنّ مراحله غير محدّدة بالتّدقيق " .

فالرّواية لم تظهر إلاّ بحوالي 10 سنوات بعد الاستقلال . و اعتمادا على أطروحة دكتوراه الدولة للأستاذ عبد المالك مرتاض بجامعة "السربرن" سنة 1980 تحت عنوان أجناس النثر الأدبي في الجزائر، يمكن القول بأنّ أوّل رواية جزائريّة مكتوبة بالعربيّة صدرت قبل السّبعينات هي "غادة أمّ القرى" لرضا حوحو 1947 .

و يمكن تحديد انطلاق الرّواية الجزائريّة العربيّة في سنة 1971 مع صدور رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة و الجدير بالذّكر أنّ هذه الرّواية كانت محلّ اقتباس من طرف السينما و التّلفزيون.

الـــخـــاتـــمـــة

بعد هذا السير في مواصلة البحث في كمائن روايات الكاتب القدير عبد الحميد بن هدوقة تتحقق النتائج التي حاولنا حوصلتها فيما يأتي :

أوّلا : تمثل الأسرة الجزائرية في روايات عبد الحميد بن هدوقة الصفة الغالبة لواقع المجتمع الجزائري من حيث المنظور البيئي الخاص بالأصالة الممزوج بالطابع البدوي، و من حيث المنظور الفكري و الثقافي المتعلق بطابع الأمية التي عرفتها القرية أو الريف في زمن أحسن عبد الحميد توظيفه حين ألصقه بالإستعمار و بظروفه، في كثير من المحطات.

ثانيا: يمثل الريف الوكر الأكبر مساحة و ذكرا للعائلة أو الأسرة الاجتماعية في روايات عبد الحميد بن هدوقة . و لذلك فإنّ فإنّ نواة العائلة عنده هي المرأة الريفية و لو تظهر في تطور الأحداث في المدينة فإنّها ريفيّة الأصل و بدوية الطبع و هو أمر مميز لتجاه روايات ابن هدوقة في صميمها

ثالثا: إنّ رواية ريح الجنوب لوحدها تأسيسا ناصحا لصورة المجتمع الجزائري في مدار الريف سواء في الحديث أو في الشخصيات أو في المكان أو في الزمان ، و قد قطع هذا اللّون الروائي من حيث الرسم الفنّي "شوطا كبيرا في معظم أقطار الوطن العربي .

رابعا : يشمل المنظور الروائي عند عبد الحميد بن هدوقة في مواجهة المجتمع الجزائري في زاوية الريف أو القرية ، على فكّ لغز الحياة الّذي يعتمد على سمتين رئيسيتين هما :

أ- حبّ العمل

ب- حبّ الناس

إذ أنّ هاتين السمتين تقتضيهما عناصر الأحداث التي تجري بها وظيفتا الزمان و المكان في كلّ رواية من روايات ابن هدوقة ، فمن حيث الزمان فقد تحددت السنوات التي مرّ بها المجتمع الجزائري سواء في مرحلة الماضي بموروثه عن الأجداد ، أو بمرحلته الانتقالية التي عرفها بعد التحرر السيّاسي من خروج المجتمع الجزائري من قبضة الاستعمار ، و التحرر الاقتصادي تمثل عند الكاتب في الثورة الزراعية واضحا على وجه الخصوص و أمّا التحرر الثقافي فقد عرضه الكاتب في عملية التعليم و نشره و ماجنيته ، و صوّر حركته في وظيفة المكان التي خصص لها الروائي حيّزا محددا في ثلاث عناصر و هي على

مسالك التدرج بين البداية و النهاية فكانت البداية في الريف مرورا و وقوفا عند محطة القرية و كانت النهاية هي المينة و رافق هذه المسيرة التدرج في التعليم من صفة الكتاتيب في الريف إلى المدرسة الإبتدائية في القرية إلى الثانوية و الجامعة في المدينة ، و بذلك تحقق للكاتب بكلّ سهولة و يسر متابعة تطور المجتمع الجزائري عن طريق هذا المخطط العام في صورة روائية جلية و عادية واضحة .

قائمة المصادر و المراجع

أوّلا : المصادر

- ابن هدوقة ، عبد الحميد : الأرواح الشاغرة – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع مطبعة دار البعث قسنطينة – 1967

- ابن هدوقة ، عبد الحميد : الأشعة السبعة – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – ط2–1981

- ابن هدوقة ، عبد الحميد : ريح الجنوب – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – ط4– 1980

- ابن هدوقة ، عبد الحميد : غدا يوم جديد – دار النشر الأندلس الجزائر – ط1 – 1992

- ابن هدوقة ، عبد الحميد :الكاتب و قصص أخرى – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ط2

- ابن هدوقة ، عبد الحميد : نهاية الأمس – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – ط6 – 1975

ثانيا : المراجع

- ابن قينة ، عمر : دراسات في القصة الجزائرية الطويلة و القصيرة – المؤسسة الوطنية للكتاب

- ابن نبي ، مالك : ميلاد مجتمع – الجزء الأول شبكة العلاقات الاجتماعية – ترجمة عبد الصبور شاهين القاهرة – ط1 –1962

- أبو النجا ، سيد عطية : عالم الفكر – المجلد الثالث عشر – العدد الرابع يناير فبراير

مارس 1987

- أحمد إبراهيم ، الهواري : نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر – دار المعارف – مصر العربية – ط1 – 1978

- أديب ، بامية عايدة : تطور الأدب القصصي الجزائري 1925–1967 – ترجمة الدّكتور صقر – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر –

1982

- بوشحيط ، محمد : الكتابة في لحظة وعي – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر –

1974

- بويجرة ، بشير : الشخصية في الرواية الجزائرية 1970– 1983 – ديوان المطبوعات الجامعية– 1985

- دوقان ، أحمد : الموقف الادبي - مجلة - العدد : 116 كانون الاول 1980

- رشيد ، فاروق : في الرواية العربية - عصر التجمع - دار الشروق - دار بيروت - دار القاهرة - دار جدة - ط2 - 1975

- سالم ، جورج : المغامرة الروائية - منشورات اتّحاد الكتاب العرب - دمشق - 1973

- سيد حامد ، النسّاج : بانوراما الرواية العربية الحديثة - المركز العربي للثقافة- بيروت - ط1 - 1982

- شكري ، غالي : مذكرات ثقافية تحتضر - دار الطليعة - بيروت - ط1 - 1970

- طاهر ، علي جواد : مقدّمة في النقد الأدبي - المؤسسة العربية للدراسات و النشر - بيروت - ط1 - 1977

- الطويل ، فهيمة : صورة المرأة في روايات عبد الحميد بن هدوقة - رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير لسنة 85-86 - جامعة الجزائر

- عبد الله ، الركيبي : تطور النشر الجزائري 1830-1974 - المنظمة العربية للتربية و العلوم - معهد البحوث و الدراسات العربية - 1976

- عبد الملك ، مرتاض : النص الأدبي من أين و إلى أين ؟ - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1983

- مجلة اللّغة و الأدب : إصدار معهد اللّغة العربية و آدابها ، جامعة الجزائر ، العدد13 ، 1419هـ- 1998م

- مخلوف، عامر : تجارب قصيرة و قضايا كبيرة - مقالات نقدية - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1984 .

-مستغانمي الراسي ، أحلام : المرأة في الأدب الجزائري المعاصر - ج1 : أطروحة دكتوراه في جامعة باريس - تحت إشراف جاك برك .

- مصايف ، محمد : دراسات في النقد و الأدب - المؤسسة الوطنية للكتاب - 1988.

- مصايف ، محمد : الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام - الدار العربية للكتاب - الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر- 1983.

- انطباعات الجنوب (Expression Algériennes (Impression du sud شتاء و ربيع سنة 91 رقم 27 و 28 - مجلة فصلية تصدر عن المصالح الثقافية للسفارة الفرنسية بالجزائر مدعمة من قبل دور الثقافة لجنوب فرنسا .

- هلال ، محمد : النقد الأدبي الحديث - دار الثقافة دار العودة - بيروت 1973

- هلال ، محمد : الأدب المقارن - دار الثقافة دار العودة - بيروت- ط5- 1977

- هلال ، محمد : الموقف الأدبي - دار العودة - بيروت 1977

- هوارة ، سعيدة : الواقعية في روايات عبد الحميد بن هدوقة و الطاهر وطار - رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير السنة 84-85 - جامعة الجزائر .

- الوسيني ، الأعرج : اتّجاهات الرواية العربية في الجزائر - رسالة لنيل شهادة الماجستير سنة 81-82 - جامعة دمشق - كلية الآداب

Ouvrage de référence :

GAFAITI .Hafid : Les femmes dans le roman algérien , histoire , discours et texte, Ed.L'Harmattan, 1996, p337-345

فـهـرس الـمـوضـوعات

المقدّمة	01
تمهيد	11
1– تطور الرواية	12
2– مكانة الرواني عبد الحميد بن هدوقة	33
الفصل الأول :	
صورة المجتمع و الاسرة الجزائرية في ريح الجنوب	45
مدخل	51
– الصورة الجسدية	52
الفصل الثاني :	
المرأة داخل الأسرة بين الصورة الجسدية و الاجتماعية	56
– صورة زليخة	57
– الصورة الجسدية لأم رابح	58
– الصورة الاجتماعية لنفيسة	60

- الصورة الجسدية للعجوز رحمة 63

- الصورة الاجتماعية للعجوز رحمة 65

- الصورة الاجتماعية لخيرة 66

- الصورة الاجتماعية لأم رابح 67

الفصل الثالث :

الصورة النفسية داخل الأسرة 69

- الصورة النّفسية لنفيسة 70

- الصورة النفسية للعجوز رحمة 73

- الصورة النفسية لخيرة 75

- الصورة النفسية لأم رابح 76

الفصل الرابع :

الأسرة بين الموقف و المنوذج 77

- موقف نفيسة من الزواج داخل الأسرة و المجتمع 78

- موقف نفيسة من الجنس 79

- موقف نفيسة من الأسرة اتجاه العمل المنزلي 81

العائلة في الرواية العربية 84

الخاتمة 87

قائمة المصادر و المراجع 90

République Algérienne Démocratique et Populaire
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université Abou Bakr Belkaid - Tlemcen
Faculté des lettres et des sciences humaines et sociales
Département de langue et littérature arabes

LA FAMILLE DANS L'ŒUVRE DE ABDELHAMID BENHADOUGA

Mémoire de magister présenté :

Par l'étudiant : BENKHENAFOU Rachid

Sous la direction du :

Professeur Dr. ABBAS Mohamed

Année Universitaire 2001-2002

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

سجل تحت رقم .....
بتاريخ .....
الرقم .....

TABLE DES MATIERES

I- Introduction générale 01

II- Evolution de la prose littéraire 04

a- La naissance du genre romanesque en Algérie 04

b- Les écrivains et la politique intérieure en Algérie 08

1- Décret du 8 Mars 1938 08

2- Evénements du 8 Mai 1945 10

3- Questions de politiques diverses 11

c- Les écrivains et la politique extérieure 13

III- La nouvelle avant l'indépendance 15

a- La première pépinière de nouvellistes 15

b- L'art de Réda Houhou dans la peinture de la famille algérienne 17

1- Amour 18

IV- Emergence du roman algérien en langue arabe 22

a- Benhadouga le précurseur 22

b- Tahar Wattar le fondateur 31

V- La hiérarchie sociale dans la société algérienne 36

a- Dans Société. 36

b- La société dans le corpus 38

I- INTRODUCTION GENERALE

L'écrivain Algérien d'expression arabe dont je me propose ici d'analyser sa production dans le cadre de mon mémoire de MAJISTER intitulé « la famille dans l'œuvre de Benhadouga, est l'un des auteurs les plus représentatifs de la littérature algérienne d'expression arabe. Il a écrit dans les mêmes conditions historiques et sociales que Tahar Wattar. Il est l'un des écrivains algériens les plus traduits dans le monde (Français, anglais, chinois, coréen, danois, espagnol, grec, italien, japonais, portugais, russe, turc). Les premières traductions de l'arabe au français des œuvres de BENHADOUGA ont été réalisées par Marcel Bois via la SNED à Alger et ont servi de toile de fond aux autres traductions étrangères. Tous les deux écrivains arbophones appartiennent à un même groupe ayant vécu toutes les contradictions de la colonisation. On ne s'étonnera pas dès lors, de retrouver de l'un à l'autre un certain nombre de situations communes ni de l'image qu'ils donnent à voir de la société algérienne ne soit pas très différente d'un roman à l'autre. Cet auteur privilégiant tel aspect, celui là tel autre.

Le choix des œuvres comme objet d'analyse est essentiellement dicté par le fait qu'il s'agit d'une même peinture de la même société algérienne à deux périodes historiques particulièrement importantes pour l'Algérie, l'Algérie de la guerre , d'indépendance et l'Algérie d'après l'indépendance exception faite pour le roman « Demain, jour

nouveau » où l'action tire ses origines de la commémoration du premier centenaire de la présence française en Algérie en 1930 pour aboutir avec les événements des islamistes après octobre 1988.

Toute la production envisagée dans le cadre de cette étude se rattache à ceux deux périodes . Nous avons au passage évoqué également la période allant de 1931 à la veille de la guerre d'Algérie en réservant un chapitre à l'évolution de la prose littéraire. Durant cette période, des écrivains algériens toujours d 'expression arabe ont à travers leurs écrits (récits, articles de presse, nouvelles, et un seul roman, celui de Réda Houhou) essayé de peindre à leur tour une époque, une société d'avant guerre.

Les années soixante dix resteront marquées par l'émergence du roman algérien en langue arabe où Abdelhamid Benhadouga et Tahar Wattar seront les plus productifs. Il s'agit de deux écrivains qui ont fait leurs preuves. Leurs œuvres ont subit l'influence de deux événements capitaux faisant partie de l'histoire contemporaine algérienne :la guerre de libération et la révolution agraire. Ces deux événements constituent en quelque sorte l'architecture profonde de la matière romanesque d'une littérature qui s'est affirmée en s'imposant très vite en Algérie et dans le monde arabe. Elle ne cesse de gagner du terrain et son volume de diffusion s'élargit puisqu'elle touche les masses à travers la démocratisation de l'enseignement en Algérie où les œuvres font partie

des programmes officiels à l'étranger par le biais des traductions de l'arabe vers plusieurs langues étrangères.

Le combat de l'écrivain n'étant pas terminé « peindre un jour un beau tableau de mon pays révolutionnaire, le pays de l 'autogestion, de la révolution agraire, le pays qui aura récupéré ses richesses naturelles et maîtrisé son commerce extérieur, le pays industrialisé, cultivé, qui se tiendra debout aux côtés de tous les partisans de la liberté, de la paix et de la justice »écrivait Tahar Wattar dans le préface de l'AS en1974 , c'est ce qu'aurait écrit avec une même vision des choses Abdelhamid Benhadouga ou n'importe lequel des autres à qui le roman apparaît comme un instrument de choix pour l'exploration de la société, comme le moyen de montrer une certaine réalité sociale, de l'analyser et peut être parfois de la transformer. En Algérie, l'institution de prix littéraires par le président de la république est la preuve que ce pays considère l'écrivain comme étant l'artisan de la révolution culturelle. Interrogé sur l'impact de la traduction Abdelhamid Benhadouga, écrivain, directeur général de l'ENAL, président du conseil national de la culture, estime que si chaque algérien a désormais la liberté d'écrire dans la langue qu'il choisit, il est important que « les cultures d'expression se rencontrent, par le biais de la traduction », Horizon, 8 octobre 1990.

II- EVOLUTION DE LA PROSE LITTERAIRE :

a- La naissance du genre romanesque en Algérie :

Dans le contexte de la littérature arabe, le roman moderne est un genre littéraire relativement jeune. En Algérie les années 70 resteront peut-être celle de l'éclosion du roman Algérien de langue arabe.

« C'est avec Réda Houhou » dit Jean Dejeux, que la nouvelle et même le genre romanesque s'imposent en Algérie, du moins par rapport à ce qui a été publié jusqu'alors.

Cet avis s'est avéré exact, puisque la prose littéraire n'a jamais connu de nouvelle élaborée , ni encore de roman avant 1947 c'est à dire avant l'année où HOUHOU publia le premier roman écrit en langue arabe. Il s'agit bien entendu de « Ghada Oum El Kora » [1](La belle de la Mecque).

Le grand vide dans le domaine du roman est dû à plusieurs facteurs, dont le manque de maison d'édition vient en premier lieu. A cela, s'ajoute le fait qu'il y avait peut de lecteurs arabophones en cette période. En tout état de cause, la prose littéraire n'a connu en tout et pour tout qu'un seul roman.

---

[1] Albassair n° 25 du 1-3-48 p 22 et 3 . Il est à signaler que HOUHOU a habité à l'Arabie et a même collaboré à la presse saoudienne.

Au cours du demi siècle écoulé, ce genre littéraire plus au moins inspirée de l'occident, a eu du mal à se faire une place au soleil algérien.

De timides essais sont tentés, mais jusqu'en 1940, un des noms à retenir, celui de Mohamed Benabid El Djilali qui publie quelque nouvelles dans le journal El Chihab en 1935 - 36.

Quelques années après la deuxième guerre mondiale, le mouvement prend de l'ampleur ; les mentalités ont évolué le journal des Ulama El Bassair ouvre largement ses colonnes à des écrivains comme Zhor Ounissi, Ahmed Benachour et surtout Houhou. La plupart de leurs nouvelles abordent des problèmes sociaux.

De 1931 jusqu'au début de la guerre d'Algérie en passant par les événements de la deuxième guerre mondiale, c'est par le biais du journal El Bassair que la littérature arabe en Algérie joua un rôle primordial dans la description de la vie politique dans ce pays.

C'est ce dont témoignent le récit, le théâtre, l'article de presse e le seul roman de Réda Houhou dont nous avons parlé plus haut. A première vue, le récit et l'article à l'exception du seul roman de Houhou durant la période en question, apparaissent plus riches et plus capables que la poésie de décrire la vie sociale et politique avec sérénité et profondeur.

Pourquoi 1931 dans la vie de ce genre littéraire ?

En Algérie, 1931 correspond à un tournant historique : entre cent ans de colonisation (1830 - 1931) et une nouvelle ère qui apparaissait pleine de promesses malgré les difficultés rencontrées par les écrivains Algériens de langue arabe.

C'est en 1931 que l'association des Ulama a été fondée à Alger. En optant pour le réformisme (venu initialement de l'orient) les Ulama ont joué un rôle impressionnant dans le réveil de la conscience nationale et notamment dans le domaine religieux où l'influence des Ckeikhs de confréries dominait toute l'Algérie. Le réformisme des Ulama d'Algérie formait un tout : alphabétiser les adultes, éduquer les enfants, enseigner la littérature aussi bien pour plaire aux gens que pour décrire la société, propager l'Islam pour guider les croyants dans la bonne voie et enfin propager la politique pour avoir plus de liberté d'expression autant que d'action. Cette association accomplit une œuvre considérable sur tous les plans particulièrement dans le domaine de l'éducation car elle créa des dizaines de médersa dans lesquelles les jeunes musulmans recevaient un enseignement à caractère arabo - Islamique, fondé sur des méthodes pédagogiques simples.

Bien que la plupart des écrivains algériens, politiciens, conservateur ou réformistes, aient essayé, chacun à sa manière, d'écrire des articles appartenant à cette tendance, l'écrivain le plus intéressé, le

plus constant et le plus impressionnant semble- t- il fut Baaziz Ben Omar. Il publia une série de longs articles portant sur plusieurs problèmes sociaux , pas moins de quinze dans différents périodiques et notamment dans El Bassair n° 58 p3 ; n° 67 p3 ; n° 77p 1 et 2.

Abou yala azzawawi aborda quelques problèmes de la société algérienne. Par exemple dans son article intitulé El oumia fi ommatina eldjazairya (l'analphabétisme dans notre nation Algérienne).

Ibn Diyab ne manque pas pour sa part de publier des articles tels que Adwaa el usrah (les maladies de la famille.)

Ibn Diab ne manqua pas pour part de publier des articles tels que Adwaou El Ousra.

El Ibrahimi, quant à lui, publia une série d'articles plus au moins longs, apparemment son œuvre intitulée El choubban wa el zawaj (les jeunes et le mariage) fût la meilleure de cette série .

D'autres sujets sociaux relatant les problèmes de la société algérienne ont été élaborés par d'autres auteurs tel que El higra mina eldjazaïr ila firansa [2] (Emigration Algérienne vers la France) de Ahmed Ben Achour ; muchkilato el bitala fi aljazaïr [3] (problèmes du chômage en Algérie) de Omar El Arbaoui. Celui - ci constate que le chômage augmentait d'année en année dans le camp des indigènes. Même les

---

[2] El bassaïr n° 43 du 11 - 7 - 48 p 3

[3] El bassaïr n° 227 du 2 - 7 - 54 p3.

responsables selon l'auteur y furent sensibles. Mais le phénomène du chômage, remarque El Arbaoui, n'existait pas dans le « camp » européen qui ne se plaignait, ni d'oppression, ni d'injustice. Il s'ensuit que les écrivains intéressés par les problèmes sociaux ont adopté dans la rédaction de leurs articles une méthode scientifiquement valable. Ainsi Omar El Arbaoui situe, dans le prologue de son article, chaque individu à sa vraie place selon son statut social dans une grande société où les droits et les devoirs sont mi - partie. Ensuite il entre dans le vif du sujet qu'est le chômage, tout en précisant que ce phénomène en croissance constante en Algérie ne concernait en réalité que la classe des indigènes. En vue de convaincre son lecteur, El Arbaoui rapporte une statistique officielle relative au chômage en Algérie pendant cette période.

b- Les écrivains et la politique intérieure en Algérie :

Au sujet de la politique intérieure en Algérie les écrivains arabophones étaient axées sur trois éléments fondamentaux :

1- Décret du 8 Mars 1938.

2- Evénements de 8 Mai 1945.

3- Questions de politiques diverses.

1- Décret du 8 Mars 1938 :

En interdisant l'enseignement de l'arabe dans tous les établissements privés appartenant aux musulmans algériens, sans avoir

obtenu préalablement une autorisation écrite, le décret du 8 Mars 1938 ne fit qu'attiser, en quelque sorte, le feu dans le camp des patriotes.

Apparemment le décret en question n'est ni mauvais ni sévère si l'on tient compte seulement de son aspect juridique où chaque enseignant de langue doit obtenir un agrément avant d'entamer son activité d'enseignant. Cette décision n'était que juste si l'administration coloniale avait été de bonne foi. Par conséquent, un tel décret n'était pas applicable aisément, car il aurait provoqué des vagues de colère chez les leaders des organisations nationalistes, notamment chez les réformistes qui se considèrent comme étant la partie la plus concernée, puisque ce sont eux qui assuraient l'enseignement de l'arabe en Algérie.

Ce sont eux également qui défendaient cette cause depuis la fondation officielle de leur organisme (A.U.M.A) en 1931. Le décret du 8 Mars 1938 a compliqué les choses plutôt qu'il ne les a arrangées. Il secoua d'une manière très brutale, l'opinion publique où les cris de protestation s'élevaient de toute part en Algérie[4].

Les Ulamas et à leur tête Ibn Badis ont considéré le décret du 8 Mars 1938 comme une gifle donnée à l'enseignement de l'arabe dont leur président avait été le fondateur.

---

[4] El Bassaïr n° 157 du 17/3/39, p 3.

Dans ce sens Ferhat Abbas écrivit un article de fond très passionné dans son journal l'Entente où il constata que le décret du 8 Mars 1938 était très oppressif [5]. Mais le héros absolu de cette opposition idéologique voire politique fut incontestablement Ibn Badis qui publia une série d'éditoriaux très impressionnants dans El Bassaïr[6] par lesquels il condamnait le dit décret.

2- Evénements du 8 Mai 1945 :

A ce sujet proprement politique, deux écrivains se sont intéressés . La grande valeur de leurs quatre œuvres nous incite à nous intéresser à leurs articles. Le premier auteur de renommé nationale fut Baaziz Ben Omar qui publia deux grands articles : Dikra taamin may (commémoration du 8 Mai). On constate que Baaziz se montra très polémique. Il condamna la colonisation qui commettait des « agressions sur les libertés »..... .

Stylistiquement ce texte est une satire rédigée contre la colonisation telle quelle existait.

Il voulait que le peuple algérien fasse de la commémoration de ces événements un point de départ pour la lutte armée et la résistance en vue de la libération .Il s'agit d'un vœu qui se réalisera le 1 novembre 1954 par le déclenchement de la lutte armée.

---

[5]Journal l'entente de Ferhat Abbas du 10/3/39.

[6] El bassaïr n° 114 du 28/5/38 p 1 et 2, 118 du 17/6/38 p 1 et 2.

Le second se fut El Ibrahimi qui publia, lui aussi deux articles à ce propos. L'accent de ces deux textes est identique à celui de Baaziz enthousiaste et débordant de colère. D'après ce qu'écrit El Ibrahimi le soleil de cette journée ne brille plus, il n'ya ni vie, ni lumière !... « son mois » fût désobéissant au printemps , il n'y a ni fruits, ni fleurs !

Le second article inspiré par la même circonstance a été publié en 1951 sous un titre tragique : waylahoum ! ahya hamlah harbyah , (Malheur à eux ! s'agit - t - il d'une guerre ?).

3- Questions politiques diverses :

Parmi les questions politiques qui ont attiré l'attention des auteurs d'articles, on note ce qu'on appelait en Algérie « la séparation du culte de l'état ». A ce sujet El Ibrahimi rédigea une dizaine de textes. Cette œuvre présente une valeur littéraire considérable quantitativement et qualitativement parlant.

L'auteur à travers cet œuvre aussi belle que riche, traite le problème de séparation nécessaire du culte et l'état. Il montre l'attitude de Ulama à l'égard de cette grande question à caractère politique malgré sont aspect religieux. Le même auteur publia son article de sensation sur les élections générales en Algérie intitulé : Adat li itriha lamis ! (chassez le naturel, il revient au galop). Cet éditorial fut l'un des chefs d'œuvre de ce genre. Il y dit notamment : « la démocratie d'après le gouvernement d'Alger, est identique à le prière des hypocrites ! elle

ne purifie aucunement l'âme, son empêcher de commettre le pêché !... »[7].

D'autres auteurs publièrent également des articles de fond relatifs à ce sujet tels que Baaziz Ben Omar et Réda Houhou . Ce dernier en publia quatre au moins dont un est intitulé , intikhabat 4 Afril fi sahafa el firansia (les élections du 4 Avril dans la presse française).

Pour ce qui est d'Ibn Badis, on souligne qu'il a publié une série d'éditoriaux dont un a été consacré à la liberté. Dans cet éditorial , l 'auteur adresse la parole à sa liberté en l'appelant de mille noms ; il dit dans un passage de son texte qui ressemble à une poésie :

« Ô liberté !

bien aimée.

Où est tu dans cet univers... ?

Combien de poètes ont été ravis de ta beauté.

Mais hélas ! pas de sentiments à l'égard des colonisés !

Combien de héros ont trouvé la mort en te sauvant !

Mais leurs successeurs t'ont tué dans ton berceau.

Combien de pages historiques ont été écrites avec ton sang vertueux.

Mais elles ont été transformées par le sang des cœurs, transformé en larmes aux yeux »[8].

---

[7] El Bassaïr n° 64 du 21.1.49, p 1.

[8] El Bassaïr n° 64 du 21.1.49 p 1

On constate que Ben Badis n'a pas caché ce qu'il ressenti pour la liberté. Le même écrivain rédigea un autre article à l'occasion de la fête de la liberté où il dit :

« Tout homme a droit à la liberté , de même qu'il a droit à la vie ».

Quoi qu'il en soit , l'éditorial d'Ibn Badis sur la liberté nous révèle la manière par laquelle les écrivains arabophones en Algérie évoquaient les grandes causes telles que la liberté sous différentes aspects. Ces écrivains en général liaient la liberté en tant que telle, à la vie car il y a pas de liberté sans vie. Aucune ne peut exister réellement sans l'autre. Une fois de plus, cette citation prouve d'une manière évidente que les écrivains algériens admiraient la liberté de telle sorte qu'Ibn Badis répète plusieurs fois dans son éditorial ce terme : « je t'ai cherchée dans .... »

c- Les écrivains et la politique extérieure :

En politique extérieure les écrivains arabophones se sont également préoccupés des problèmes des pays du Magreb arabe. Les auteurs d'articles en Algérie n'ont pas marqués de débattre d'une manière ou d'une autre, des problèmes politiques qui concernaient cette région en général. Parmi les articles de fond de valeur qui ont été consacrés à ce thème, on souligne celui d'Ibn Badis intitulé « El istïmar youhawil kataa el arham bayna el ikhwane (La colonisation essaye de rompre les liaisons entre les frères.). L'auteur s'y plaint de ne pas avoir

été autorisé par les autorité d'Alger ,à se rendre au Maroc pour assister à la commémoration du quarantième (40e) jour après la mort de Abou Chouaîb El Dukkali.

La cause de la Palestine n'a pas cessé d'attirer les sentiments et fertiliser l'imagination des écrivains arabes en général. L'attitude des auteurs algériens était toujours identiques à celle de leurs homologues arabes.

El Ibrahimi consacre une dizaine d'articles à cette cause d'un style littéraire très châtié. Parmi les autres articles rédigés sur la Palestine, on note celui de Bouzouzou publié en éditorial Edam fi ard el nouboua [9] (le sang sur la terre de la prophétie).

Bouzouzou[10] pleura la Palestine à chaudes larmes en disant notamment :

« le sang sur la terre de la prophétie

le sang coule en Palestine... »

Cet article est plein de sentiments poétiques et patriotiques . Quant à Ibn Badis, il rédigea un éditorial sur la politique symptomatique de ce pays, intitulé : « Filistine el chahida » (La Palestine martyre).

---

[9] El Bassaïr n° 16 du 22/12/47 p 1et 2.

[10] El Manar N°1 du 01/04/1952 , p4,

Publiée au Caire , cette revue comme directeur Bouzouzou

L'auteur condamne la colonisation britannique qui a voulu utiliser « un sionisme si glouton pour couper le corps arabe »[11].

III- LA NOUVELLE AVANT L'INDEPENDANCE :

a - La première pépinière de nouvellistes :

La première nouvelle, plus au moins digne de ce nom est incontestablement celle qui a été publiée par El zahiri intitulé : François et Rachid. Cette tentative dans le domaine de la nouvelle rencontra un grand succès auprès des intellectuels algériens. La preuve en est que Ibn Badis réserva un prix littéraire pour lequel les poètes de cette époque là rivalisaient. Cela était dû, certainement au grand succès que cette nouvelle avait eu dans les milieux littéraires.

El Zahiri aborde là un sujet apparemment sensible. Il s'agit de l'égalité politique entre les algériens et les européens [12]. La nouvelle comporte deux protagonistes différents par leur caractère, la race et la classe. Après avoir fait leurs études ensemble à l'école primaire puis au collège, les deux jeunes amis vont accomplir leur service militaire. Rachid est persuadé que son camarade de classe François et lui même

---

[11] El Manar n° 1 du 11.4.52 p 4

Publiée au Caire, cette revue avec comme directeur Bouzouzou.

[12] Pour reprendre le terme par lequel, jusqu'à l'indépendance, on désignait les français .

sont égaux .Mais hélas ! dès qu'ils entrent dans la caserne Rachid s'aperçoit que son ami François ne cessa de monter en grade, tandis que lui reste un simple soldat, ce qui l'incite à ne pas admettre ce fait, car il lui est difficile d'accepter une situation aussi paradoxale, une injustice due à une situation politique à caractère spécifique. Apparemment, le thème de cette première nouvelle algérienne d'expression arabe et des plus simples, mais quand nous la situons dans son contexte historique cette première tentative met fin à une période caractérisée par l'absence de création littéraire de haute qualité et à ce titre revêt une importance réelle aussi bien littéraire qu'historique.

Ainsi El Zahiri continua ses tentatives dans le domaine de la nouvelle et il en rédigea trois autres de valeur, si on les situe bien sûr dans leur cadre temporel. Il s'agit de Aïcha, El kitab El momazzak (Le livre déchiré) ; inni ara fi el manam (je vois dans le rêve). L'auteur rencontre un succès considérable dans les milieux intellectuels algériens. Ces œuvres d'El Zahiri ne peuvent sans doute passer entièrement inaperçues. Au contraire, elles devaient laisser un grand impact sur les futurs nouvellistes tels que Mohamed El Djillali (1890 - 1967) qui préféra signer ses récits parus au cours des années 1935 -36 et 37 du pseudonyme de Rachid. Cela prouve l'influence de El Zahiri qui avait choisi le nom de Rachid pour titre de sa première nouvelle parue en 1925.

Il est utile de préciser que les tentatives de El Zahiri d'une part et celles d'El Djillali d'autre part ont contribué sérieusement à la préparation du terrain pour le vraie départ de la nouvelle à partir des années quarante.

Dès la fin de la seconde guerre mondiale, plusieurs nouvellistes se manifestèrent pour donner le départ à ce genre littéraire. Citons entre autres, Réda Houhou (1911- 1956), Ahmed Ibn Achour, Abou El Kassim Saad Allah.

b- L'art de Réda Houhou dans la peinture de la famille algérienne :

Objectivement c'est Houhou qui devance les écrivains algériens dans ce domaine. Son art se distingue par son trait d'esprit ironique dans la critique des défauts de la société algérienne. Les thèmes fondamentaux abordés dans les nouvelles des uns et des autres se groupent autour des axes suivants.

1- Amour.

2- Problèmes de la société.

3- Lute psychologique.

4- Morale et éducation.

5- Patriotisme

6- L'amour :

Le thème de l'amour intéressait surtout Houhou. La majorité de ses nouvelles comportent ce thème . Houhou aborde les problèmes de la famille algérienne en particulier et ceux de la femme arabe en général. Parmi ses nouvelles portant sur l'amour on cite : Sahibat el wahaï (l'inspiratrice), Fatat ahlami (la fille de mes rêves), Khaoula, El kubla el machouma (le baiser funeste).

Dans son recueil de nouvelles intitulé Sahibat el wahaï oua kisas oukhra (l'inspiratrice et d'autres nouvelles) , Houhou fait de l'amour un élément d'inspiration pour un poète aussi romantique que naïf. Après l'avoir aimé, sa bien aimée le quitte brusquement sans aucune raison. Et pourtant elle lui inspirait de beaux poèmes grâce à sa douceur. A travers cet amour, le poète décrivait la beauté de son amante qui le n'avait jamais aimé sincèrement. Tout était donc, faux ! Ainsi le poète s'aperçut un jour que sa bien aimée n'était qu'un monstre. Elle s'amusait de lui sans se rendre compte de son grand amour à son égard . La fille se maria purement et simplement avec un autre homme, tandis que lui prolongeait dans un enfer d'illusion.

Une autre nouvelle se rapproche de celle - ci. Il s'agit d'El kubla el machouma (le baiser funeste) qui n'est en réalité qu'une image fidèle de la précédente à savoir Sahibat El wahaï (l'inspiratrice). Les

événements de celle là se déroulent à la Mecque où son personnage probablement un ami à Houhou aima un jour une belle fille...

Après avoir passé avec elle des moments agréables, et après s'être laissé embrasser pour la première fois, elle le quitta brusquement sans aucune raison pour se marier avec un autre le laissant pleurer son cœur perdu.

El Kubla El machoumah (la baiser maudit) donc n'est pas loin de Sahibat El wahaï (l'inspiratrice) quant à son thème ainsi qu'à son esprit. Le reste des nouvelles de Houhou ne s'éloigne pas, de celles dont on vient de parler, si bien de chacune d'elles, traite d'une manière ou d'une autre de l'amour, aborde l'un de ses problèmes dus à une certaine combinaison de circonstances qui dominait les sociétés sous développées en général et la société algérienne en particulier. Parmi les quatre nouvelles de Houhou indiquées plus haut, seule khaoula s'élève à un niveau intéressant et représente l'apogée de la nouvelle en langue arabe en Algérie.

Après avoir débuté timidement en abordant des thèmes tantôt réformistes, tantôt patriotiques, la nouvelle algérienne peu à peu, arriva en fin de cette période à s'attaquer à des sujets relativement compliqués.

Pour cette période nous avons jugé utile d'intégrer à ce chapitre dans le même ordre d'idées Ghada oum El Kora (la belle de la

Mecque) qui est une œuvre de qualité et une référence dans la prose littéraire d'avant l'indépendance période qui n'a connu que ce seul roman. Les événements qu'on y narre ne se déroulent pas en Algérie, mais en Arabie Saoudite son thème traite d'une question sociale délicate : le port du voile avec toutes les conséquences qui en résultent .Le thème quand on le situe dans son cadre historique, paraît très intéressant puisqu'il enregistre les souffrances causés par ce monstre de la femme arabe qu'est le voile.

Zakiya aime son cousin Djamil, mais celui ci ignore son sentiment à son égard . Il n'y avait, même jamais pensé. Par contre, il brûlait d'amour pour Asma, la sœur aînée de Zakiya.

Djamil était le fils unique de Fatima et son père avait été tué dans une guerre tribale. Tout le monde ignorait l'amour de Zakiya pour son cousin. C'est un amour qui a commencé dès l'enfance alors qu'elle jouait avec Djamil qui habitait chez son oncle maternel après le décès de son père. A la suite de mal entendu Zakiya commença à force d'aimer Djamil, à délire avant de tomber malade . Aussitôt, elle mourut.

C'était très difficile pour elle de supporter le choc quand elle sut que Djamil ne l'aime pas. Djamil lui aussi souffrit de cette atmosphère si lourde qu'elle en était insupportable. Il mourut cruellement en prison, parce que sans rival Raouf qui avait demandé la main de Asma sans

que sa requête ne soit acceptée, avait pris la revanche en accusant Djamil, auprès de la police de la Mecque, d'un crime dont celui - ci est innocent.

Cette attitude paradoxale prie par Raouf et du à la haine contre Djamil pour la simple raison que Asma et son père même préfère celui - ci. Zakiya n'aurait jamais été morte de cette manière cruelle et inattendue, si elle n'était pas soumise à la loi du voile.

Car le dévoilement lui aurait permis de rencontrer d'autres personnages, de connaître certainement d'autres jeunes gens ou d'être aimé par d'autres que son cousin Djamil. D'autres part si Zakiya avait pu parler librement de son amour à Djamil, elle n'aurait probablement pas connu ce désespoir qui ruina sa vie. S'il n'y avait pas en cet inévitable voile imposée par les lois qui régissent cette société, elle aurait su que son cousin ne l'aimait pas, mais que dès l'enfance, il aimait sa sœur aînée.

Et Gamil ? S'il n'y avait pas cette corruption sociale consistant à être en faveur des riches au détriment des démunis, il aurait sans doute évité de tomber dans ce malheureux piège tendu par la police qui le condamna injustement. Le thème que Houhou avait choisi pour son roman est très sentimental si bien que chaque lecteur avait les larmes aux yeux à la fin de l'œuvre.

Voilà les deux raisons essentiels qui ont mené au déroulement de ce drame constituant l'esquisse du roman de Houhou. A travers ce grand amour perdu de Zakiya, l'auteur voulait condamné les mauvaises mœurs et toutes leurs conséquences.

Certes, les événements du roman se déroulent en Arabie Saoudite, mais Houhou pensait surtout à la société algérienne en particulier à laquelle il dédia son œuvre : « A celle qui a été privé de l'amour, de la science, de la liberté.... A cet être misérable méprisées dans ce monde, à la femme algérienne je dédie ce roman, à titre de soulagement».

Ce roman rencontra un grand succès dans les milieux intellectuels algériens . El Bassaïr exalta cet œuvre romanesque qui a obtenu un grand succès.[13]

IV- EMERGENCE DU ROMAN ALGERIEN EN LANGUE ARABE :

a- BENHADOUGA le précurseur :

Après l'indépendance une nouvelle vague de nouvellistes, apporte son renfort. De nouveaux, des recueils sont publiés et le

[13] El Bassaïr n° 276 du 2.7.54 p 3 et 6.

véritable point de départ du roman algérien en langue arabe peut être situé en 1971 avec Rih El Djanoub (le vent du sud) de Ibn Hadouga .

Fin 1978, malgré des problèmes d'édition et de diffusion, l'ouvrage en est à sa troisième édition [14]. Il existe des traductions en français, en polonais, en néerlandais, en allemand et en espagnol. Un film a été tiré du roman. On peut se demander pourquoi le coup d'envoi à tant tardé après l'indépendance du pays. C'est que les 132 ans de colonisation française ont favorisé la langue française au détriment de l'arabe mis en veilleuse et victime de multiples interdits. L'enseignement de l'arabe dans les établissements privés appartenant aux musulmans algériens s'est compliqué par la mise en application du décret du 8 Mars 1938[15]. D'où la prédominance de la littérature romanesque algérienne en langue française au cours des dernières décades (Féraoun- Maaméri -Malek - Haddad - Dib- Kateb yacine).

Parallèlement, les lecteurs en langue arabe, moins nombreux que les lecteurs en français étaient moins bien préparés à accueillir le genre romanesque . L'ambiance était plus favorables à la poésie. Dans la même ligne, il faudrait ajouter les difficultés matérielles, l'absence de personnel qualifié et assez nombreux en ce qui concerne l'édition et la

---

[14] Journal El moudjahid, page culturelle du 3 Mars 1979.

[15] Ihaddaden Zahir, histoire de la presse indigène en Algérie , Ed. ENAL Alger 1983.

diffusion des ouvrages ; autant d'obstacles renforcées pas les tracasseries administratives.

Mais certaines des difficultés évoquées sont aujourd'hui surmontées , d'autres sont en voie de l'être. Les orientations nouvelles que l'Algérie devait prendre après un siècle et demi d'une histoire mouvementée ont provoqué de profonds bouleversements et l'accélération qui caractérise les changements leur donne un relief favorable à l'éclosion d'œuvres romanesques.

Dans la même ligne il faudrait ajouter l'arabisation totale du quotidien d'informations de l'est algérien El Nasr en 1970 et la morse de l'arabisation du quotidien de l'ouest Al Djoumhouria (La république) qui commencera à paraître avec une page , deux pages....en arabe jusqu'à son arabisation totale en 1976 soit six années après le quotidien de l'Est qui possédait les moyens humains et matériels suffisants pour son arabisation totale . En effet El Nasr paraissait à Constantine capitale de l'Est algérien et capitale régionale des villes de Mansourah et Sedrata, Bédjaïa, Sétif et Bordj-Bouariridj où sont respectivement nés les grands romanciers et nouvellistes : Abdelhamid Ben Hadouga, Tahar Wattar. Constantine est un pôle d'arabisation c'est aussi la ville natale d'Ibn Badis. Cette ville sert de cadre à un des

meilleurs romans corpus[16] où l'écrivain se place et peint une société tout à la fois entrain de crouler et de renaître.

L'enseignement de l'arabe y était fortement implanté. Parmi les Médersa les plus importantes du pays, il y avait celle de la confrérie El kattania , fondée dans cette ville avec un internat et celle de l'institut Ibn Badis fondée en 1947 dans la même ville également avec un internat (Dar El talaba) avec une capacité d'accueil estimée à 700 étudiants environ en 1953. Si Constantine a été la capitale régionale de l'Est algérien , c'est bien dans l'Est algérien que les événements les plus douloureux d'avant la guerre ont commencé .C'est à Setif ,ville natale d'El Ibrahimi premier collaborateur et successeur de Ben Badis, à Khenchla et Kherata que les 45.000 martyrs sont tombés sous les balles de l'ennemi lors des manifestations du 8Mai 1945[17].Ce qui explique que la localisation des ténors du roman algérien en langue arabe dans cette région appelée jadis le Constantinoi n'est pas un hasard.

Ainsi voici le bilan de la production romanesque pour la période qui va de 1971 à 1992.

*17 romans ont été édités, et parfois réédités :

---

[16] El zilzal

[17] Charls André Julien , l'Afrique du nord en marche p.262 Juliard rais 1952.

- Rih AL DJanoub (le vent du sud) : Abdel Hamid Benhadouga 1971-1975-1976-1980-1982- 1988 ,Ed. SNED.Alger

- Ma La Tadarouhou El Riyah(ce que le vents ne peuvent effacer) : Arar Mohamed Ali ,1972 - 1977. Ed. SNED . Alger .

- El Laz (l'As) : Tahar Wattar , 1974-1977-1979 -1984, Ed. SNED . Alger

1984 . Ed. Messedor (France)

- El Zilzal (Le séisme) : Tahar Wattar , 1974-1976-1980 -1982-1988, Ed. SNED . Alger , la première édition 1974 a été faite à Beyrout pour le compte de la SNED .

- Nihayat El Ams (La fin d'hier) : Abdelhamid Benhaddouga , 1975 - 1978-1979 -1980 - 1986, Ed. SNED . Alger

- Nar wa Nour (Feu et lumière) : Abdelmalek Mortad , 1975 . Ed. Riwayat El Hilal

1979 . Ed SNED . Alger

- A Tamouh (L'ambitieux) : Arar Mohamed Ali, Ed. SNED , Alger . 1978

- El Kasr wa el hawwat (le palais et le pêcheur) : Tahar Wattar , 1975 en feuilleton dans chaab et 1983 par Dar el baat à Constantine ; 1985 Ed. ENAL Alger .

- Dimâ wa doumoua(Sang et larmes) : Abdelmalek Mortad , 1977-1978 publié en feuilleton dans El Djamhouria ., 1982. Ed . SNED Alger.

- Aurs El baghl (noces de mulet) : Tahar Wattar , 1983 -1984 , Ed. SNED

1984 ,Ed. Messidor

- Touyour fi El dahira (oiseaux en plein midi) : Marzak Bagtache , 1981 , Ed. SNED

- Djarad El Bahr (Les langoustres) : Marzak Bagtache, 1981, Ed. SNED

- Bana a soubh (la mise à nu) : Abdelhamid benhaddouga, 1984 - 1988, Ed. SNED

- Al bouzat (les faucons) : Marzak Bagtache , 1983-1985, Ed. SNED

- A chams touchrik lil djamia(Le soleil brille pour tout le monde) : Ismaïl Djamoukat , publié dans El Moudjahid N°858 et 869 de 1977, 1985, Ed. SNED

- El adjssad El Mahmouma (Les corps enfièvrés) : Ismaïl djamoukat Publié dans El Chaab du 25 Septembre 1984, 1984 , Ed. SNED.

- El houbou wa el maout fi zaman El Harrachi (L'amour et la mort dans le temps Harrachi) : Tahar Wattar , 1982-1984 , Ed. SNED

Parmi les oeuvres romanesques précitées Abdelhamid Benhaddouga et Tahar Wattar occupent une place de choix . En effet, ces deux écrivains ont fait leurs preuves et continuent à écrire . Ils donnent à lire des ouvrages où la jeune génération algérienne se reconnaît , et leur audience à l'extérieure du pays s'étend chaque jour.

Implicitement et à travers leurs oeuvres , ils se réclament d'une Algérie révolutionnaire, socialiste , pays arabe , Africain et du tiers monde. Ils s'appliquent à lire , traduire , éclairer et animer le quotidien. Ils attaquent avec une ironie parfois mordante le féodalisme, la réaction et toutes les formes d'exploitation ou d'aliénation. Ils s'efforcent de démystifier un certain nombre de tabous concernant par exemple la femme, la terre , la religion ; de faire entendre des accents nouveaux , d'explorer de nouvelles pistes . Ils apportent une contribution originale à la prise de conscience de l'homme d'aujourd'hui. Leurs oeuvres affirment à une période difficile une volonté de vivre et de construire , même quand elles dénoncent ou interrogent . Par ces deux romanciers, l'Algérie , poursuivant la quête de son identité , prend une place plus large dans le concert des nations .

Né en 1925 à Mansourah (Bourdj Bouariridj), rappelé à Dieu le , Abdelhamid Benhaddouga a passé son enfance dans un petit village de montagne avec lequel il garde des attaches solides. Tout en fréquentant l'école primaire , il acquiert les rudiments de l'arabe classique auprès d'un père lettré dans cette langue . A la fin du primaire , il suit un premier cycle d'études à l'institut d'Al Katania - Constantine . Puis trois années passées à Marseille chez un oncle commerçant lui permettent d'acquérir une formation professionnelle de régleur mouleur en matières plastiques.

De retour en Algérie , il fréquente de nouveau El Katania . A la rentrée scolaire en 1950 , il rejoint l'université de la Zitouna à Tunis pour quatre années d'études dans la section littéraire . Il est au même temps élève de l'institut d'art dramatique .

En 1954-1955 , il est professeur de littérature arabe à El Katania . En Novembre 1955, recherché par la police , il se rend en France y travaille pendant deux ans y est hospitalisé ; les médecins lui conseillent de changer de profession ce qui renforce son goût pour la littérature . En 1955 et 1958 il compose des pièces radiophoniques en arabe pour l'ORTF et la BBC .

En 1958, par la Belgique, l'Allemagne et l'Italie , il se rend à Tunis où les circonstances l'appellent à se consacrer essentiellement à des activités littéraires et artistiques : émissions éducatifs et littéraires à la radio Tunis ; participation à « la voix de l'Algérie » ; nouvelles et articles dans l'édition arabe de l'organe FLN (El Moudjahid). Il participe également à la rédaction de la revue « Achaab El Djazairi » . A la demande du GPRA , il rédige en 1958, son premier ouvrage, une étude de cinquante page : « L'Algérie entre hier et aujourd'hui » .

A Alger il exerce ses activités professionnelles à la R.T.A depuis l'accession de son pays à l'indépendance et continue à écrire des pièces radiophoniques.

Aujourd'hui, sa ville natale, Bordj Bouariridj a immortalisé son nom par la tenue annuellement d'un colloque sur sa vie et son oeuvre . Les actes des colloques demeurent disponibles à la portée des chercheurs algériens et étrangers grâce aux efforts louables consentis par la direction de la culture de la wilaya de Bordj Bouariridj.

Dans le domaine de la littérature, il a à son actif :

*Quatre recueils de nouvelles :

- Délal Djazairia (ombres Algériennes) Beyrouth 1960
- El achiaa el Sebaa (Les sept rayons) Tunis 1962
- El Kaatib (l'écrivain) Alger SNED -1974 -1977-1980
- Maarakat rafraf (La bataille de rafraf) SNED, 1984 .

- Recueil de poèmes :
  - El arwah el chaghira (âmes vacantes) Alger SNED . 1967-1978

- Quatre romans :
  - Rih el djanoub (Le vent du sud) Alger SNED 1971 -1975-1976-1980-1982
  - Nihayatou el ams (La fin d'hier) Alger SNED 1975-1978-1979-1980
  - Bana soubh (La mise à nu) Alger SNED - 1984
  - Ghadan yawmoun djadid (demain jour nouveau) Alger - Ed. El-Andalous. 1992

b- Tahar Wattar le fondateur:

Journaliste , nouvelliste et romancier, Tahar Wattar , trouve naturellement sa place parmi les fondateurs de l'avenir littéraire en langue arabe . Né en 1936 au village de Sedrata . Tahar Wattar est l'animateur infatigable, il apporte la même fougue que Abdelhamid Benhaddouga aux soirées littéraires que dans ses écrits .

Observateur perspicace et impitoyable , il multiplie les contacts aussi bien autour d'une table de café qu'en parcourant le pays de long en large .Et son art qu'il compare à celui du céramiste , transfigure le fruit de ses observations .

Son enfance s'est déroulée dans un village de l'est Algérien . Ecoutons-le parler lui même de ses premières années dans le petit village de Sedrata entre les villes d'Annaba et Tebéssa : « Je suis né dans un douar de la compagne , d'une famille qui comptée quatre garçons ; mon père en a mis deux à l'école de langue française , deux à l'école de langue arabe . J'ai vécu dans la pureté , la pureté de l'existence, pureté de l'âme , nourri du spectacle des collines sur lesquelles tombait le crépuscule , jouant de la flûte derrière les brebis et les oies . J'ai été témoin de l'héroïsme : ma mère accouchant toute seule ; ma mère encore montant la garde la nuit sur le toit . j'ai saisi le sérieux de la nature et des hommes qui m'entouraient . Dans le Coran que j'apprenais par cœur j'ai reconnu l'éloquence et la beauté ceci se

passait avant la révolution ; depuis d'autres facteurs sont venus enrichir ma personnalité ».

Cette description brute de l'enfance de Wattar semble être analogue à celle de Marcel Paniol décrivant son enfance dans la provence française.

Les changements d'univers qui jalonnent son adolescence représentent chaque fois pour lui un choc . Il passe d'abord du douar au village pour entrer à l'école de M'daourouch . Ses études le conduiront successivement à l'institut Ibn Badis de Constantine , puis à la Zitouna de Tunis .

Ces dépaysements le poussent à se réfugier dans la lecture : « Je retenais par cœur les oeuvres de Djabran Khalil Djabran , de Mikhail Nouaama , Rayhani ainsi que les poèmes d'Ilya Abou Madi ». Parmi les auteurs qui l'ont beaucoup influencé dans la suite, Tahar Wattar cite Gorki , Sartre, Shakespeare , Hemingway , Bernard Chaw, Malraux , Mauriac , Nazim Hikmet . Devenu à son tour écrivain, il déclare prendre en considération toutes les écoles , sans s'inféoder à aucune d'elles .

Vers 1955 , à Tunis , Tahar Wattar commence à publier dans les journaux de nouvelles sur la révolution et sur lui même . Son premier recueil , Doukhanoun min kalbi (Fumée de mon cœur) paraît à Tunis en1962 . Une des nouvelles « noua » , revêt une importance

particulière : d'une part elle a donné naissance à un film ; d'autre part l'auteur date son adhésion à l'idéologie socialiste du jour où il l'a écrite ; et depuis il n'a plus jamais séparé sa tâche d'homme et d'écrivain de son engagement politique .

Un deuxième recueil El Taanat (les coups) est édité à Alger par la SNED en1971 et réédité en 1976 .

Un troisième recueil El chouhada yaoudouna hada El ousboua (Les martyrs reviennent cette semaine) paraît à Baghdad en 1974 . La nouvelle qui donne son titre au recueil aborde des problèmes d'après guerre avec beaucoup d'audace, on peut en dire autant dans le même recueil : elle illustre symboliquement les difficultés rencontrées par le peuple algérien dans sa marche vers un avenir meilleur.

Tahar Wattar a écrit une pièce de théâtre, édité en 1969 par le SNED : El harib (le fugitif). Dans le domaine du roman , il a à son actif :

- El laz (l'As) . Ed. SNED 1974 - 1976-1978-1984--1988

- Ours baghl (noces de mulet), Ed. SNED 1983 - 1984, Ed. Messidor 1984.

- El kasr wa el hawat (le palais et le pêcheur) , Dar el baat Constantine - 1983 , Ed. ENAL 1985.

- El hub wa el mouat fi zaman El Harrachi (l'amour et la mort dans le temps Harrachi.), Ed. SNED - 1982 - 1984.

Signalons encore les tentatives de Tahar Wattar dans le journalisme. En 1962- 63, avec des amis, il fonde successivement deux périodiques El Djamahir puis El Ahrar qui vivront chacun sept mois . Plus tard (de juin 1972 à Avril 1974) il anime le supplément culturel hebdomadaire d'El Chaab et y publie quelques nouvelles.

Aujourd'hui , il est président fondateur de l'association El-Djahidia , association qui regroupe tous les écrivains algériens d'expression arabe et française. Cette association nationale anime des journées littéraires et dresse un état des lieux de la littérature algérienne d'expression arabe. Elle édite une revue littéraire dans laquelle s'identifient de jeunes écrivains et traducteurs.

Dans l'ensemble de son œuvre Tahar Wattar, tout en visant à la clarté dans le contenu et dans la forme, s'efforce de saisir le réel dans toute sa complexité, sous tous ses aspects : économique, social, politique, historique, culturel, psychologique, biologique, ... il passe avec aisance du registre réaliste au registre symbolique. sa force vient sans doute d'une sincérité profonde et de ses convictions idéologiques. Ce qui le préoccupe, c'est la lutte contre l'analphabétisme , contre la médiocrité contre tout ce qui prive 90 % de la population de l'accès à la culture et à une vie moderne. A ses yeux la purification à opérer est celle qui libère de l'esprit réactionnaire. Cette purification a dépendu à un moment de la révolution armée ; elle dépend aujourd'hui d'une

plongée dans la vie réelle de la société, en s'efforçant de faire intervenir les facteurs décisifs pour son avenir. Cette vision des choses a d'ailleurs valu à Tahar Wattar de solides inimitiés de la part d'esprit conservateur qui ont vite fait de taxer son progressisme de communiste. La renommée a dépassé les frontières algériennes, en France l'initiative des éditions Méssidor Temps Actuel qui ont traduit et publié el laz et Ours Baghl en 1984 a été jugée d'excellente[18]. Par l'article de Robert Temmem publié dans la « marseillaise » du 2 Avril 1984, Tahar Wattar invité des éditions Messidor à Paris et Marseille a qualifié de louable cette initiative. Ambassadeur de la culture algérienne en France, il a signé ses œuvres à la librairie « Paul Eluard » à Marseille [19] . Une deuxième rencontre était programmée à Port Saint Louis du Rhône à l'initiative du parti communiste français. Mais elle n'a pas pu se tenir suite à l'opposition des pieds noirs qui ont manifesté leur mécontentement eu égard à la consistance de l'oeuvre de Tahar Wattar qui traite de la résistance algérienne face à l'occupant français.

Aux éditions Méssidor, El Laz, cette fois ci a été traduit par Bouzid Kouza avec la collaboration d'Idris Boukhari et Djamel Eddine Cheikh avec une préface d 'Henri ALLEG . Quant à Ours Baghl a été

---

[18] L'humanité dimanche du 6 Mai 84, entretien avec Tahar Wattar .

[19] La marseillaise du 22 Avril 1984.

traduit par Marcel Bois et B. Guichoud, avec un commentaire en couverture de Rachid Boudjedra.

V- LA HIERARCHIE SOCIALE DANS LA SOCIETE ALGERIENNE :

a- Dans la société :

Dans les œuvres de notre corpus, les écrivains engagent une lutte obstinée contre « les visions fatalistes de la société à travers laquelle la hiérarchie des groupes sociaux est conçue comme définitives : « maître et serviteurs, exploiteurs et exploités, riches et pauvres, prépondérant et dominés »[20]. En face de la minorité dominante, le reste de la population constitue l'immense majorité des dominés. Ce groupe, vu par les romanciers, est naturellement, perçus dans sa multiplicité et dans toute sa diversité. L'auteur algérien, quel que soit son désir d'universalité, est , avant tout, profondément enraciné dans sa communauté dont il se sent solidaire. La vision qu'il a de la société est beaucoup plus complète. Du notable au fonctionnaire de l'administration et du parti, du chef de la mairie au paysan sans terre, toutes les catégories sont présentent dans les romans où riches et pauvres se côtoient .

---

[20] Introduction de la charte nationale 1976.

Cela ne signifie pas pour autant que toute distinction de classe soit alors effacée ; des différences considérables existent entre les uns et les autres que rapproche cependant le sentiment d'appartenir à la même communauté « dominée : d'où l'extrême complexité de la hiérarchie ».

La famille dont la structure, il faut le préciser, reste la même d'un bout à l'autre de l'échelle sociale. Elle nous intéresse à plus d'un titre , elle est une unité parfaitement hiérarchisée et c'est ce que nous proposons d'étudier ici ; par ailleurs, éléments de cohésion du groupe colonisé, elle a remplie dans le contexte colonial une fonction importante de résistance à la domination.

La cellule sociale que représente la famille est l'élément le plus important de la société traditionnelle zone de sauvegarde « par excellence, on en trouve la peinture chez tous les auteurs, soit qu'ils la présentent comme un élément étouffant [21] soit au contraire, qu'il en montrent l'aspect sécurisant pour l'individu.

Présente dans tous les romans, elle occupe une place privilégiée dans :

- Bana soubh.
- Nihayatou El ams.
- Rih El Djanoub

[21] Rih El djanoub - le père pour sauver sa terre décide d'interrompre les études de sa fille pour la marier à un personnage influant.

- El laz.

-El Zilzal.

b- La société algérienne dans le corpus :

La famille algérienne se caractérise également par l'autorité, au sommet de la hiérarchie familiale, du chef de la famille sur tous ceux qui vivent dans la même maison.[22]

On sait que généralement, la maison [23]n'abrite pas un seul ménage mais une famille beaucoup plus large comprenant des ascendants et des descendant . C'est les années 1976 dans la ville d'Alger , les choses ont bouger donnant naissance à des conflits latents entre le chef de famille et les membres de sa famille . Conservateur, il est le chef de cette maison dont la toute puissance sur les siens est rarement constatée.

Le mariage par exemple, est beaucoup plus qu'une alliance entre deux individus, une alliance entre deux familles, ce qui explique que le chef du groupe décide ou veut décider souvent du choix de la femme que l'on fera prendre à l'un de ses fils médecin rétif à « ce mariage nécessaire » à « l'ascension » de « la famille ».

---

[22] Bana soubh.

[23] Maison , il faut noter que ce mot désigne aussi bien l'édifice lui même que l'ensemble de la famille qui y vit.

En effet le thème principal s'articule autour de l'analyse d'une famille bourgeoise en1976 année en Algérie du grand débat démocratique autour de la charte nationale qui devait jeter les bases idéologiques et institutionnelles du pays. L'action étant centrée sur une étudiante Dalila un des membres de cette famille, laquelle ayant été séduite par son ami Krimo, décide de quitter la maison paternelle.

Des hauteurs d'Alger où elle réside, elle se fait accompagnée en voiture par un « dragueur » occasionnel jusqu'au cœur de la ville où elle a envisagé de joindre Krimo pour le décider. Ce dernier refuse catégoriquement d'assurer ses responsabilités c'est à dire le mariage. Abandonnée et rejetée par la société qui lui fait subir les conséquences de son acte, réduite à cette situation de « jeune fleur vidée et mis à nu » Dalila trahie fait le constat « la mise à nu de sa famille, qu'elle compare à une caserne » et celle de tout le monde.

Avant de quitter sa famille, Dalila, celle par qui le scandale arrive, nous fait découvrir dans leurs dures conditions, les membres de la société qui gravitent autour d'elle. C'est la vie de cette bourgeoise récemment parvenue dans Alger, capitale qui vit au rythme du débat populaire autour de la charte nationale.

Cette famille symbolique est présentée dans toute sa complexité dynamique « de la dynamite prête à sauter ». Ce qui fera dire à un des

personnages du roman « la maison de mon oncle repose sur un volcan ».

Trahie de tous côtés, Dalila qui représente le symbole de la femme en révolte pour un avenir meilleur, prises dans les contradictions de son milieu social, exprime tout haut sa révolte. Tous les personnages du roman se complètent . Tout d'abord le père Cheikh Allawa , « le général de la caserne » comme l'appelle sa fille, vulnérable personne, fonctionnaire occupant un poste de responsabilité dans un ministère. Conservateur, symbole de la tradition et de cette nouvelle bourgeoisie qui sous prétexte de défendre l'islam refuse tout changement de peur de perdre des privilèges facilement acquis. Pour lui, c'est le retour à l'Islam pur et dur, en vérité, comme il est dit dans le roman « c'est un bonne homme qui vit au 12ème siècle ».

Face à lui il y a la jeunesse qui le juge et revendique : « vous représentez uu passé dont nous ne voulons plus ». Rituel conflit de génération Cheikh Allawa comme le rappelle le narrateur est « du type traditionnel » avec burnous, chéchia, turban de soie et gandoura brodée ; ses armes sont l'autocratie, le Coran et la tradition ».

Ses enfants, Mourad médecin dans un hôpital que l'on décidera de marier avec une fille de famille traditionnelle très influente : les Abdou El Djalil idéal de référence de Cheikh Allawa. Rationaliste,

Mourad ce personnage formé à l'étranger et pour qui la médecine gratuite a empêché l'ouverture d'un cabinet privé.

Omar, directeur de banque, personnage symbolique qui s'oppose au syndicat et à la gestion socialiste des entreprises et dont les agissements ne sont pas sans reproche se lance dans des affaires.

Réda, jeune étudiant de tendance progressiste volontaire de la révolution agraire.

Zoubida ,la vieille fille qui désespère de trouver un mari.

La mère, bourgeoise algéroise aussi conformiste que le père.

La nièce Naïma ou l'intruse campagnarde venue effectuer des études universitaires ; c'est la victime tout désignée de la famille.

Le père de Naïma, image de simplicité et du sens de l'honneur ; à travers lui Benhadouga nous restitue la génération qui a pris le maquis pour une Algérie libre, socialiste et prospère.

Et Nassira « Sonacome » la jeune algérienne libre et responsable ;la seule qui ait pu échapper à ce carcan fait de dépréciation et de désintégration .Il y a enfin la capitale algérienne à l'ambiance démesurée avec ses quartiers populeux. Alger support de tant de problèmes, contrastes et contradictions mais toujours aussi belle dont les vues panoramiques la révèlent dans toute sa splendides, ses majestés, mais aussi ses misères.

C'est aussi l'Algérie de 1976 où l'élévation du niveau de vie mettait à nu ce que l'injustice et toutes sortes de misère avaient pendant longtemps occultée.

L'auteur en faisant une peinture de cette société des années 1976 est sans équivoque pour les masses populaires et pour le socialisme qui est « un espoir, une joie durable »[24]. Le roman se termine dans une ambiance explosive comme pour marquer un point de rupture au sein de la société :c'est Dalila sui est la première à quitter la « caserne ». C'est en fait un constat, un instantané, une révélation « mise à nu » de la société algérienne dans sa dynamique de bouleversement et de développement.

Dans Rih El Djanoub, Abdelhamid Benhadouga aborde deux thèmes majeurs de la société : l'émancipation de la femme et la libération de la terre. Le maquis semble disparaître des motivations de l'auteur mais les problèmes sont nombreux, les événements culminent en une ultime tragédie annonciatrice peut être d'autres conflits plus douloureux encore.

Dans un village de l 'Est algérien, l'auteur centre le récit sur la destinée d'une lycéenne de dix huit ans, venue passer les vacances d'été chez ses parents. Il nous montre qu'elle est la victime tout

---

[24] Bana Soubh, p 59.

désignée. Toute sa conduite dans le village tombe sous le blâme. Parlant à sa tante Rahma sur les attitudes des habitants du village à son, égard « sortir, parler devant les hommes, se maquiller, ne pas se lever tôt , ne pas faire la prière, ne pas être une parfaite ménagère, ce sont des fautes dans cette société ? ».

Nafissa s'interroge sur la composante des habitants et leur attitudes vis à vis de la femme en incriminant et en rendant pour responsable la femme elle même. « tout le monde a changé ma tante c'est l'ignorance des hommes qui a déchaîné les mauvaises langues contre nous ; c'est aussi l'ignorance de la femme qui la maintient sous l'esclavage des pères et des maris ».

Nafissa compare les deux sociétés, celle de la ville où elle vie et celle du village où elle passe seulement ses vacances en s'interrogeant « on m'empêche de sortir dans un village pourtant désert alors qu'à Alger, je suis libre de mes mouvements ; pourquoi le fait de sortir serait - t - il une faute ici et là bas non ? Les gens d'ici sont - ils de bons musulmans et ceux d'Alger des mécréants ? ».

Parallèlement à la situation de la révolte de la jeune lycéenne l'auteur introduit un autre personnage aussi important pour l'édification de la société auquel aspire la jeune fille. C'est la tante Rahma, une vieille fabricante de poterie du village. Elle souhaite « fabriquer une

poterie, une seule aussi expressive que cette fille Nafissa ». Elle serait la plus heureuse des femmes.

En découvrant dans le village cette vieille femme de la campagne capable de s'ouvrir à un monde « qui pourtant lui était étranger » Nafissa espère à un changement.

La tante Rahma voit aussi que le mariage de Nafissa avec Malek le maire de la commune « ne serait pas facile à réaliser ». Ce mariage décidé par le père dans le but de sauver ses terres agricoles d'éventuelles nationalisations. Par ce refus du mariage Abdelhamid Benhadouga à travers les personnages du roman met en cause la hiérarchie de la famille traditionnelle où le mariage par exemple est beaucoup plus qu'une alliance entre individus, une alliance entre deux familles ce qui explique que le chef du groupe décide souvent du choix de la femme ou du mari que l'on fera prendre. Cette autorité au sommet de la hiérarchie est sur le point de disparaître dans ce roman. L'auteur nous éclaire sur cette composante humaine qui refuse indirectement l'implantation de la première école du village. Chacun veut que celle-ci soit « élevé à la porte de sa propre maison » car craignant que leurs enfants une fois scolarisés ne pourront plus garder l'élevage du bétail. Mais les villageois seront d'accord pour que le terrain devant servir d'assiette à l'école soit réservé à la création d'un cimetière qui recueillerait les ossements des martyrs.

L'inauguration du cimetière présidée par le maire et chef de la Kasma du parti allait les rassembler. Symbole du sacrifice accepté pour libérer le pays, il ne suscitera pas une meilleure entente des villageois. A vraie dire qu'ils soient d'accord ou qu'ils se querellent, l'auteur nous fait connaître que leur isolement ne sera pas rompu expliquant et mettant en relief l'émigration et son apport . La plupart des hommes jeunes travaillaient en France et l'apport de cette émigration à la réalisation du village est incontestable : « sans vous les émigrés, sans les mandats que vous envoyez il n'y aurait plus une maison debout dans la région ».

Tout en procédant à une peinture réaliste de la société algérienne dans Rih El Djanoub, l'auteur à travers un récit fort appréciable a mis en relief les aspirations de la jeune étudiante, la sagesse de la tante Rahma (vieille fabricante de poterie) d'une part, et les manœuvres d'un « gros » propriétaire de terre pour échapper à la révolution agraire, le chômage, la misère, la réclusion de la femme et l'absence de conscience d'autre part.

Les problèmes de la société algérienne soulevés dans le premier roman de Abdelhamid Benhadouga dans Rih El Djanoub seront cette fois ci cernés de plus près dans Nihayatou el Ams . C'est l'Algérie des années 1969, le pays à évolué. Un instituteur engage dans le village où il est affecté une lutte obstinée contre cette vision fataliste du monde à

travers laquelle la hiérarchie des groupes sociaux est conçue comme définitive. Nous relevons une analyse vivante et impitoyable de certains rapports sociaux. Les perspectives révolutionnaires ne sont pas acceptées par des gens pauvres victimes d'une léthargie séculaire, à base d'ignorance, soigneusement entretenue par ceux qui y trouvent leur intérêt. L'instituteur Bachir redonne vie à des événements qui se sont passées précédemment dans le village qui sert de toile de fond au roman . Ces événements liés à la guerre de libération créent une atmosphère familière par rapport aux faits historiques réels qui se sont déroulés.

Sans aucune intention préalable, nous pouvons dégager une image de ces événements banalisés par l'histoire. Bachir nous représente les effets de la guerre dans un espace réduit, certes, mais bien connu, il s'agit d'un petit village de l'Est algérien comptant 1500 habitants dont 50 familles d'émigrés vivant à l'étranger et 15 de ceux qui sont parties vers les villes d'Alger et de Constantine. Un village parmi tant d'autres qui pourrait ressembler à n'importe quel village d'Algérie où pourraient avoir lieu les mêmes événements.

Certaines images du roman liées à l'atmosphère des problèmes de la guerre sont frappantes de réalisme et peignent la société dans son ensemble. Ces images forment un ensemble qu'on ne pourrait

disloquer, mais pour une analyse rigoureuse du réalisme du personnage de Bachir.

Bouleversé par le sort de la famille que le harki a laissé derrière lui après sa mort. Une pauvre femme, une mère qui ne méritait pas ce sort malheureux. L'auteur met en relief l'attitude de l'instituteur pour la défense de cette famille. Est-ce de sa faute si son fils est devenu harki ? Il a d'ailleurs expié son crime par une mort horrible.

Au bas du village, dans le gourbi qu'elle partage avec sa belle fille et ses deux enfants, le drame, se sont ces deux enfants qu'il a laissé derrière lui : une fillette de 10 ans et un garçon de 8 ans, employé comme berger chez Ben Askri le gros propriétaire terrien du village l'homme qui s'opposera aux idées socialistes de Bachir. Il est le plus riche du village et le père du secrétaire générale de la mairie à laquelle est rattaché administrativement le village.

Ici Benhadouga peint la société en jetant un regard positif sur les séquelles de la guerre, éclairant au passage des données relatives au drame des harkis, quand au lendemain de l'indépendance les gens ont découvert leur trahison à la lutte armée. Bachir bouleversé par le sort de la famille du harki aide la mère du harki à trouver son emploi, celui de femme de charge à l'école pour pouvoir gagner de « quoi ne pas mourir » comme il est dit dans le roman. Un autre événement, le mariage de Orkeya le 1 novembre 1954 avec Bachir le jeune étudiant

du village. Le temps où se passe cet événement est précis, il est inséré à une époque bien déterminée : la naissance de la guerre d'Algérie. C'est dire que l'espace (le village) est le temps de l'action sont bien définis. De même que l'action qui nous met dans des situations très claires, des faits bien établis, et des personnages de Bachir et Orkeya qui progressent selon les difficultés de la même société. « Et un jour, le premier novembre 1954, elle était devenue l'épouse d'un jeune homme en plein force ». Quand son mari, le seul homme de sa vie, eut rejoint le maquis, l'existence de Orkeya s'en trouva bouleversée ; les espoirs lumineux cédaient la place aux idées sombres, aux affres de l'inquiétude. La situation devenait impossible dans le douar car les détachements de l'armée multipliaient leurs incursions dans le village qui s'enfonçaient peu à peu dans la guerre. « Les bombes et la mort en vinrent à faire partie du quotidien ».

La vengeance de Shambit le garde champêtre du village tué par le FLN a coûté des attentats , le viol de Orkeya par 3 militaires.

Cette attitude de crainte, de méfiance et de vengeance s'explique aussi parce que le colonisé sent avec plus au moins d'acuité que le rôle essentiel de l'armée et plus généralement de tous les représentants de l'ordre, est d'assurer la défense des intérêts de la minorité contre l'éventuelle contestation du colonisé.

Orkeya au terme d'une difficile épreuve, connaissait la joie d'être mère. Un petit être tiré de sa chair allait volé de ses propres ailes et porterait un nom nouveau pour le douar, Farida . La guerre lui inspirait une horreur tranquille en compagnie de son mari qui maintenant était retenu par le maquis.

Notons un détail de style symbolique dans le prénom qu'elle a donné à son nouveau née -« le nom de Farida ne s'accordait pas aux circonstances » devait elle dire . « J'aurais dû l'appelé « bombe » et non pas Farida Le mot « bombe » a un sens semence de terreur et de mort ».

« Si ma fille était bombe » disait - elle, je la lancerai sans pitié sur cette armée d'oppresseurs. Quand les rêves deviennent bombes, le désespoir d'identifiant à la vie, devient la dernière ressource du faible . Le désespoir et la guerre interminable réduisaiet Orkeya lui donnaient une nouvelle force. Elle envisagerait de prendre les armes et de rejoindre le maquis comme son mari. Orkeya était motivée par l'espoir secret de rencontrer peut être son mari et d'accéder à un monde nouveau, inconnu de la femme, du moins des femmes de son douar.

Le cadre du village a éclaté à la faveur du souvenir, du rêve, de la méditation. Mais ce rêve n'étant pas stérile ; la méditation interroge l'histoire et son devenir, elle enfante de solides projets. Le rêve et le souvenir projettent une lumière crue, mais pleine de tendresse sur les

rapports de l'homme et de la femme. Le réalisme de l'auteur s'affirment : volonté de lire le quotidien dans toute sa dimension et en même temps de l'ébranler, volonté aussi d'ouvrir à la génération nouvelle la voie vers les objectifs pour lesquels les aînés se sont sacrifiés.

La société algérienne occupe une place importante dans l'œuvre de Wattar, ses romans aussi bien que ses nouvelles. L'auteur la place soit dans des situations extrêmes, tel El Las , dans le roman portant le même nom, soit dans une société traditionnelle, celle de son pays ou au sein de la grande famille arabe.

Les premières nouvelles de Wattar, plus particulièrement Doukhan min Kalbi (fumées de mon cœur) nous montre le jeune homme arabe aux prises avec les traditions de sa société, les rejetant parce qu'elles brimment sa liberté et gênent son indépendance. Cette œuvre le montre dans un domaine spécifique, celui de la relation entre les deux sexes, cette relation lourde de tabous et d'interdits. Mais Wattar n'examine que le cas de l'homme dans la société, oubliant la femme portant plus prisonnière des traditions à l'inverse ou presque de Abdelhamid Benhadouga où la femme est présente dans presque la totalité de ses écrits . Et au lieu de la défendre il semble l'accuser, la tenant responsable, en parti, des malheurs de l'homme.

C'est elle qui lui tend « le piège du mariage » et le prive d'une présence féminine bienfaisante, de l'amour libre et de toute camaraderie, car l'amitié avec une fille devrait aboutir au mariage, la société ne la voit pas différemment. L'homme se trouve alors, semblable à une souries, devant la grande souricière qu'est la société arabe d'une façon générale la femme étant, en fait, l'appât qui l'attire vers le piège[25] ;s'il s'en prive, sa vie deviendrait semblable à un désert ![26]

Mais fort heureusement, Wattar dépasse cette vue étroite et déformée, et jette un regard plus profond et plus englobant, sur l'être humain . Il le place alors dans les événements de la guerre d'indépendance dans son roman El L'as. Là, le lecteur est témoin du dépassement de l'être humain dans le bien, ainsi que dans le mal. Nous observons deux cas de grandeur d'âme : celui de Zaïdan, le responsable communiste qui préfère être égorgé plutôt que d'abjurer son idéologie, comme le lui demandait un représentant du Front de libération . Le deuxième cas est celui de l'as, après une jeunesse inutile et destructrice, se consacre à la cause de son pays, jouant un rôle double, pour obtenir des informations de l'armée française, acceptant ainsi de paraître un traître aux yeux de ses compatriotes.

---

[25] Sa nouvelle habat El lawz

[26] Sahra Abadan (un désert perpétuel)

Le déplacement dans le mal est représenté par le collaborateur Batus un berger qui dénonce ses compatriotes et se trouve de par ce rôle même, obligé, par un officier français à violer sa propre tante ; il est un peu gêné mais il se plie à l'ordre sans trop de résistance.

Ce n'est que plus tard, dans la deuxième partie des romans El L'as, El houb wa El mawt fi zamn El harrachi (l'amour et la mort dans le temps Harrachi) qu'il expiera, en militant pour la révolution agraire.

La guerre est en effet, par elle même, une situation extrême où l'être humain se conduit dans sa société d'une façon qui l'étonne lui même et met à nu des aspects de son caractère que le temps de paix n'aurait jamais peut être révélés. Des moudjahidine[27]de la guerre d'indépendance ont témoigné qu'ils éprouvent beaucoup de peine à s'adapter à une vie normale, et avancent le regard tourné vers les années de la guerre où des actes tout à fait naturels alors leur apparaissent maintenant, Barbares !

Une situation différente est exploitée dans le roman (El Houb wa El Mawt fi zamani El Harrachi), où l'auteur se penche sur le fanatisme, plus particulièrement, le fanatisme religieux et son effet sur l'être humain.

---

[27] Déclaration d'une kasma d'anciens moudjahidine lors des séminaire sur l'écriture de l'histoire de la guerre d'Algérie le 2 / 3 /85 à Oran.

Il montre comment, à travers les frères musulmans, le fanatisme pousse à la destruction aveugle. Cette idée fût déjà exprimée par le personnage de Zaidan dans El l'az, révélant ainsi la grande préoccupation de Wattar sur ce point ; Zaidan dit à El l'az : le contrôle de soi est une chose et le fanatisme en est une autre, car il mène à des complexes dangereux. Ce sont donc ces être complexés que Wattar montre en action dans El Houb wa El Mawt fi zamani El Harrachi ; leurs solutions aux problèmes sont plutôt négatives : détruire « le mal » , tuer sans tolérance aucune.

En écrivant El zilzal, Tahar Wattar se place en face d'une société tout à la fois entrain de crouler et de renaître. Le contraste entre les deux mouvements se retrouve d'un bout à l'autre : à travers les scènes de rue et les monologues, intérieures, à travers l'évolution d'une famille. L'être humain se détruit par lui même, par les forces du mal qui luttent à l'intérieur de son être. Le personnage principal du roman Boularouah s'est dérouté par le changement survenu en Algérie après l'indépendance. Son souci principal est, cependant, l'effet de cette nouvelle situation sur sa vie et surtout sur ses biens. Il refuse de s'adapter aux nouvelles conditions et continue à vivre dans le passé.

Sa déroute à haïr le présent et tout ceux qui y vivent, surtout la foule rurale qui remplit les rues de Constantine, et il regrette le passé, l'évoquant avec nostalgie tout en déambulant dans cette ville qui a été

témoin de la vie fastueuse des grandes familles bourgeoises de Constantine. Sa haine est si grande qu'il désire voir Constantine détruite par un séisme qui exterminerait les nouveaux arrivants, les paysans venus des villages et qui l'irritent avec leurs crasse et leurs cris . Mais il voudrait voir épargner les « bons », c'est à dire les nobles et les riches propriétaires terriens comme lui !.

C'est donc pour sauver ses terres des lois sur la révolution agraire que Boularouah est à la recherche de ses proches parents, afin d'inscrire une partie de ses biens en leur nom. Toute la perfidie de ce personnage transparaît à travers cette longue marche dans les rues étroites, encombrées et malodorantes de Constantine, un périple pénible est parsemé de déceptions, reflétant le voyage intérieur du héros, perdu dans les dédales et l'obscurité de son fort intérieur, rongé par les méchancetés de son passé et l'égoïsme du présent. Le sentiment d'écrasement qu'éprouve Boularouah dans cette ville impressionnante, son malaise, son étouffement, le vertige qu'il ressent au-dessus des ponts surplombant le ravin du Rumel, ne sont en effet qu'une réflexion de son état d'âme, du vertige intérieur qui le pousse vers l'abîme dans une course effrénée à sa propre ruine et que se matérialisera, à la fin du roman par sa tentative de suicide. Sa ville de Constantine avec son aspect géographique particulier ,se prête admirablement à cette concrétisation de l'âme malade et corrompu de Boularouah. Elle sert de

toile de fond à cette personnalité, relevant les différents traits de son caractère : son avarice quand il renvoie la petite mendiante parce qu'il ne trouvait pas dans sa poche un « douro », sa bassesse d'âme reflétée dans la justification de son égoïsme ; son mépris du peuple et son sentiment de supériorité ; il imagine même dieu de son côté, car pense t - il le jour du tremblement de terre, dieu s'arrangera pour placer tous les bons, les grands propriétaires terriens, les propriétaires d'usine, les grands commençants et les Imams dans un endroit sûr, afin de les sauver.

L'hypocrisie est, en effet à la base de toute ses actions ; s'il loue son cousin « Aïssa » pour sa piété, c'est que cette piété convient à ses projets, car d'après lui, un homme pieux ne s'intéresserait pas à exploiter un terrain inscrit en son nom.

La personnalité de Boularouah est donc placée dans le contexte de la révolution agraire, entre deux séismes qui ont un sens et des buts différents : le premier a mis fin à la société d'avant l'indépendance, celle de la bourgeoisie constantinoise ; et le deuxième souhaité par Boularouah détruirait la population venue s'installer dans la ville après l'indépendance.

C'est dans cette vision sismique que la ville de Constantine joue un double rôle : un contribue à créer cette sensation dramatique qui mène à la tentative de suicide de Boularouah, affolé par le grand

changement survenu dans la société de son pays, et elle garantit le sentiment d'un séisme imminent.

La deuxième œuvre qui retient notre attention ici est la nouvelle intitulée :El Chouhada yaoudouna hada El Ousboue (les martyrs reviennent cette semaine).Ici, nous voyons, comme dans El Zilzal, que l'effet de la guerre de libération et de l'indépendance sur la vie et l'âme de le société, est utilisée par l'auteur pour sonder les sensations et les pensées les intimes de l'homme .Dans ce but Wattar utilise la nouvelle du retour des martyrs, sept ans après l 'indépendance une nouvelle qui fera explosion ; nous découvrirons alors, que ces martyrs tant glorifiés, chantés, vénérés sont plus aimés morts que vivant ! la nouvelle de leur retour semble déranger leurs amis autant que leurs ennemis.

Pour accentuer le caractère irréel de cette nouvelle Wattar utilise une procédure empruntée des contes de fée. La nouvelle est annoncée dans une lettre qui arrive d'un pays lointain dont le nom n'est pas révélé et une seule personne a lu cette lettre que personne ne s'est soucié de consulter afin de vérifier son contenu, car, après tout, ce vieux El Abad Ben Masoud pouvait bien radoter . L'œuvre révèle les actes laids de la guerre, les faiblesses humaines, ainsi que l'aptitude de l'être humain à s'installer rapidement dans la facilité . Elle insiste surtout en démontrant comment les martyrs ont été un moyen pour le leur proches de s'enrichir à leurs dépens.

Portant la lettre étrange, Ben Masoud circule à travers le village annonçant la nouvelle et sondant les habitants, tout d'abord un père de chahid qui touche une pension et obtient maintes facilités à cause de son fils martyr, ne semble pas du tout se réjouir en apprenant la nouvelle. Puis un camarade de combat que la nouvelle inquiète profondément quoi qu'il ne croit pas au retour des martyrs. Le doute s'installe dans sa pensée. Pour un troisième, le retour des martyrs est une question purement administrative : il va falloir qu'ils prouvent qu'ils sont vivants pour être admis dans le nombre des habitants du village. Il y a aussi le traître qui a dénoncé un combattant et qui occupe actuellement un poste important dans le parti[28]. Même les patriotes sincères ne veulent pas voir les martyrs revenir, la vie leur serait difficile car ils ne pourraient supporter tous les abus, ils seraient trop déçus .

Ainsi, El Abed Ben Masoud met tout en question, plus particulièrement la sincérité de ses frères qui ne cessent pourtant, de répéter des slogans à la gloire des martyrs. C'est toute l'administration d'un pays que l'auteur met à nu, une société ou les noms méritants profitent des droits des méritants et ne veulent même pas les partager avec eux. C'est en bref, la fresque de l'hypocrisie d'une société.

---

[28] Responsabilité de chef de Kasma .

Wattar n'épargne en effet , personne ne ; il décrit le délégué communiste du syndicat hésitant à adopter une position claire, se perdant dans un discours incompréhensible autour de la question. Quand à l'Imam de la mosquée, l'auteur en fait une peinture caricaturale ; il le décrit accusant Ben Messaad de blasphémer en prétendant que son fils serait de retour, et le chasse de la mosquée lui disant : « croit - tu que ton fils et le christ ou le Mahdi ! »

La caricature de la société dont Wattar révèle l'hypocrisie profonde est complétée par la description de la réunion de tous les responsables du village, même ceux qui ne se parlaient plus, et là , il est fait allusion à des troubles organisées de l'étranger et ayant un agent caché dans le village.

Il y a peut - être même des agitateurs cachés dans la montagne, ou plutôt une armée étrangère sur le sol national , prête à occuper le pays . La décision est prise d'arrêter Ben Messoud, mais les policiers le trouvent mort sur les rails du chemin de fer : il s'est jeté devant le train , incapable de supporter l'hypocrisie de son village .

Le ton de l'auteur est plus aigre dans son roman Ours El Baghl (noces de mulet) où la société algérienne est symbolisé par un bordel et la vie est entrevue comme une fête pour le plaisir et la jouissance où chacun essaie de tirer de plus de profit possible. N'importe quelle occasion est une excuse pour s'amuser, fût ce même le prétendu

mariage d'un mulet . Mais tous les hommes ne sont pas des profiteurs sans conscience, il n'y a ceux qui semblent suivre le courant parce que, dans leur sagesse , ils ont jugé qu'il était plus raisonnable de ne pas s'opposer au courant le plus fort , tant qu'ils ne sont pas sûrs de le vaincre.

Le dernier roman de Wattar , nous apporte malgré toute l'effusion de sang qu'il décrit, une note optimiste . Tiré des comptes de fée ,El Haouet wa El Kasr (le palais et le pêcheur) symbolise l'optimisme et l'espoir infini. Car le pêcheur, malgré tout le mal qu'il lui a été fait par ses frères qui lui ont coupé les bras et la langue , et crevé les yeux , ne se décourage pas . Il garde au fond de son être une source de force que nul ne peut atteindre , c'est son cœur, tant que son cœur bat , donc tant qu'il est vivant, qu'il est capable de sentir et de s'émouvoir , il sera plus fort que ses ennemis . On peut voir à travers cette affirmation la position de l'écrivain qui, même dans une société où on pourrait le censurer , l'empêcher de s'exprimer , d'écrire , reste invincible parce qu'il garde le pouvoir de la sensibilité parce qu'un écrivain vie avec son cœur, c'est son trésor, comme s'était celui d'Ali le pêcheur, qui dit , en le touchant de la main : « vous ne l'aurez jamais, c'est le seul endroit que vous ne pouvez pas défigurer ».

. Cette note optimiste caractérise presque toutes les œuvres de Wattar . L'homme n'y est pas totalement vaincu et définitivement

perdu . Même aux moments les plus obscurs, il existe lueur d'espoir qui éclaire ses ténèbres et le soutient dans sa lutte , tel le pêcheur qui ayant perdu la vue par les yeux continuait à voir avec son cœur .

Bibliographie

Se référer à celle de la partie arabisée